السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرواية : لستُ هايد ولا چيكل

الكاتبة : دعاء رشدي

عدد الصفحات : 60 صفحة

النوع: دراما – اجتماعي – شبابي – نفسي.

" تعلن يا فتيات نذهب لمعرض الألفي غدا بالمساء"

قالت احداهن محدثة صديقاتها الثلاثة بالسيارة المكشوفة الحمراء الخاصة بها.

"أوه ! لقد نسيت هذا . لقد رأيت مجلتهم لهذا الموسم وأعتقد أنَّ تصاميمهم رائعة كالمعتاد !"

قالت أخرى في ظل ضحك الأخريات لتكمل حديثها مستفهمة

"مالذي يضحكنَّ بالأمر؟؟! ... كفى سخافة !"

"الا. سنذهب لنرى هؤلاء المصممون الوسيمون . لديهم بالفعل العديد من الشبان الوسيمين "

"والشباب الشواذ أيضا ..._ وهي تنظر متقززه_ شئ مقرف "

"ليسوا شواذ أنا أقسم"

"ماذا ؟ شواذ ! هذا ليس صحيح يا عزيزتي"

"وما قولك بذلك المصمم الشاب الذي يدعى علي ! ماذا ستقولين لو رأيته"

"ماذا يعني"

"حركات يده ووقفته ومشيته والالوان الحمراء والوردية النسائية التي يرتديها ! أظن أن له شعبية كبيرة بين الشبان "

"كلهم هكذا لذا أقول شواذ"

"لا ! أنت لم تريه بعد! أقسم أنك ستغيرين رأيك بهم كلهم عندما ترينه هو بشخصه"

"أووه! هذا حقيقي فعلا"

"بالظبط ! جدا جدا "

وسط ضحكاتهم الهستيرية العالية صرخت الأولى لتقل: "كفى حديث يابنات ! لنذهب للبيت "

"لترد الثانية وتقول" معكي حق ! الجو فضاء وبارد ونحن بالمساء "

"دعونا نلهو قليلا"

"ألا ترين وجهك كيف أصبح أحمر وبارد! لنذهب"

"لاااااا ! أنا لا أريد"

"لا لن نتأخر مثل أخر مرة ! أنا لا أريد أن أتشاجر مع أحد مجددا"

قادت السيارة لتتوجه وتوصل رفيقاتها ثم لتنحني وتصل للفيلا التي تعيش بها.

2018\10\24

المعرض الأكبر للألفي وشركاؤه A&C

ظهر شاب وسط الجموع يرتدي بذة سوداء قماشها يلمع قليلا في الأضواء مع شال أحمر خريفي ملتف حول رقبة سترته برقة ويرفع شعره الأسود الناعم لتلمع ملامحة الهادئة الرقيقة وبشرته الصافية بوجه كل من تقع عيناه عليه.

مع بداية المعرض بدأ الجميع يلزم كرسيه بجاني الطاولة الدائرية الكبيرة ، ثم بدأت الأضواء تتلاعب ليلتمع اسم صاحبها "سعيد الألفي " بالحروف اللاتينية البراقة . صعد سعيد المرتدي بذلة عاجي ليلقي كلمته المناسبة للمعرض ال 55 على التوالي منذ افتتاح الشركة . قام بتحية الجميع خصوصا " ابنه الروحي " كما ادعى : علي السمنودي .

جلسن الفتيات الأربعة بهدوء ليحضروا المعرض من بدايته مهنئات بعضهن بنظرة من أعينهن أنهن لم يتأخرن وأنَّ ذلك "العجوز" لازال يلقي كلمته.

جلس الألفي مكانه بخانب علي ليبدأ العرض بإضاءة خافتة ملونة.

"أرأيتن! ذلك "لولو"_علي_ ترتدي شالاً أحمر اليوم" ضحكن بسخرية عليه .

اكتمل المعرض وعاد الجميع لمنزله بينما الالفي جلس يربت على كتف علي وهو يقول "عقبال كل سنة وانت معنا"

"شكرا لك " علي بابتسامة .

نظرن إليه لتقل إحداهن بصوت خافت " أرأيته هههه! "

بالسيارة "ماذا تعنين بشاذ ؟! لقد رأيته عادي حقا مثل رجل طبيعي ولكنه يهتم بمظهره فقط "

"يهتم بمظهره كثيييرا ! ثم ألم ترين الشال ولونه ؟ لقد كان أحمر "

"وماذا يعني الأحمر هههه"اخرجت صوت ضحك باستهزاء

"انه علامة ! لقد تبقى له طلاء الأظافر فقط!" هههه

"كفى استهزاء! أرى أنه طبيعي حقا "

"وربما لا "هههه

"لقد سئمت منكما ! هيا لنعد للمنزل"

"اوافقك الرأي"

****

على الهاتف

"لمياااء! الست متفرغة لساعتين فقط ؟؟!"

"لا أستطيع ! الرئيس سيعاقبني ولدينا ذروة عمل اليوم بالشركة. لقد دخلت الخلاء حتى أستطيع الرد على مكالمتك أساسا "

"حسنا !!! لكن اليوم حدث معي العديد من الأشياء السيئة ! لقد حاول مسكي أحدهن بطريقة سيئة للغاية ! لا أستطيع ان أشرح لكي من أين ! لقد قمت بصدة وضربه لكني خائفة ! أنا خائفة حقا ولا أبي ولا أمي سوف يستمعا لما حدث معي مثلما أريد ! سيلمونني أنا! "

"قمت بصده أليس كذلك "

"وضربته أيضا"

"عليا الشجاعة خاصتي ! هذا يليق بك حقا ! هيا يا قاهرة الرجال المتحرشين بالأتوبيسات"

"هههه...."

"اسمعي! لا تجعلي أحدا ينل منك أبدا ! قولي لنفسك أنك قوية وأنك دائما قادرة على أن..."

تم انهاء الاتصال

"أوه لمياء! آمل أنه لن يخصم العديد من مرتبه الضئيل هذا"

قامت بالاستلقاء ع سريرها أكثر ثم ربتت على بطنها التي تصدرأصوات زئير عالية "أنا جائعة حقا " ثم نظرت ع باب غرفتها وهي تسمع صوت اباها وامها يتحدثان عن المشاكل السياسية التي تحدث لتقل لنفسها" انسي الأمر! لن أستطيع المقاومة الأن والا أحكي عما حدث . وحينها ستكون المشكلة !"

تتذكر جلستها البارحة عند طبيبتها النفسية وهي تقول لها أنها سعيدة مع أهلها وأنهم لطفاء لكنهم يقوموا بصدها كثيرا ولا يحنوا عليها مثلما تريد ! اذا حكت جدال قامت به مع شخص ما سيفكرون بمنتهى المنطقية بالشخص الآخر ، واذا بدأت بقص قصص عنها تفعلها بعفويه سيقولون لها : لا تفعلي هذا وذاك مجددا. تشعر أنها وحيدة حقا ولا تعرف ماذا تفعل .

لترد الطبيبة حينها عليها " لا تخافي ! أنا معكي "

وتفكر ببالها " هل أستطيع فعل ذلك حقا والاعتماد عليها بمفردها طيلة الوقت ؟؟!"

استلقت ع بطنها وامسكت هاتفها الخلوي لتتصفح اشعارات حساب الفيس بوك خاصتها وتبحث في الجروبات التي تحبها بكثرة وتحدث بها كثيرا بمقالاتها: مشاكل اجتماعية ، مشاكل أسرية ، مشاكل زوجية . الخ الخ . ثم تبدأ بقراءة المنشورات التي عليها والتعليقات حتى تر ما رأي الآخرين بذلك . ومنها رأت صورة لمصمم أزياء شاب يدعى علي يظهر بمظهر "أنثوي" بملابس ألوانها رقيقة نوعا ما على الرجال، وتنهال التعليقات على الصورة بأفظع الشتائم والسباب واللعن : منها من يقول أنه ليس رجل أصلا والعديد من الصبية "أرجل" منه ، ومنها من يتهمه بالشذوذ الجنسي ، ثم العديد من الشتائم كذلك.

على الصعيد الآخر علي جالس على سريره وهو يقرأ التعليقات على صورته التي قام أحد باسم مجهول بنشرها على المجموعة ، وهو يتعجب من كلماتهم النابية التي يلقوها عليه فقط بسبب مظهره الناعم .

وجدت رابط لمجموعة أدرجه شخصا بمنشور ، يقول به أنّ الجميع يستطيعون الدردشة عن مشاكلهم الخاصة من دون معرفة اسماء بعضهم البعض، إذ أنّه من حقك أن تدرج ما تريد بأسماء مستعارة. لتنقر هي ع الرابط وتدخل لتتصفح ، فلطالما أحبت هي تلك الأشياء الاجتماعية . أرسلت للمشرفين طلب انضمام للمجموعة لتسمع صوت بطنها يقرقر وتنظر على بطنها نظرة بائسة لتتنهد وتقل لنفسها" انس الامر!! لن أذهب لخارج الغرفة" لتغفل قليلا على وسادتها.

الساعة ال6 صباحا

خرجت هي من غرفتها لتجد والداها جالسان بصمت وهما يتناولان الافطار ، اقتربت منهما لتلقي عليهم تحية الصباح : "صباح الخير"

الأب : "صباح النور، كيف أصبحت "

"بخير يا أبي ! وأنتِ أمي؟"

الأم: "الحمد لله بخير! ألن تفطري"

"سأتناول الافطار بعد قليل! "

"حسنا"

الأب : "هل لديك أي خطط بالخارج اليوم؟"

"لا أعتقد! فقط سأكمل الموقع الذي أبرمجه بالمنزل"

"حسنا"

"الأقمشة التي طلبتها وصلت بالمساء بينما انت بغرفتك"

"أوه ... ممتاز!"

نظرت الأم لساعة يدها ثم نهضت عن الطاولة

"سأتأخر عن العيادة هكذا ، لدي العديد من المرضى الّذين يحتاجون للكشف اليوم في الفترة الصباحية."

"حسنا، دعيني أقوم بتوصيلك اليوم فأنا لدي محاضرة مبكرة "

"حسنا!"

خرج الدكتور الجامعي محمد الجندي مع زوجته حنان لعملهما لتدلف هي للمطبخ تجهز مشروبها الصباحي لتخرج وبيدها كوب "النسكافية " وباليد الأخرى قاطع ، وبدأت تفرغ الصناديق التي بها الأقمشة لتفردها أمامها وهي تتحسس جودتها وألوانها بسعادة ، ثم تشغل التلفاز وهي ترتشف من مشروبها لتبدأ بتقليب المحطات لتتركها عند المسلسل التركي ، ثم تسأم من الأحداث المملة وتمد يدها تجاه التلفاز ضاغطة بابهامها على الزر الأحمر بلوحة التحكم عن

بعد لتغلقة لتنهض متأففة وتدخل غرفتها مرة أخرى لتكمل عملها ع الحاسوب المتنقل الخاص بها.

بنفس الوقت بشركة الألفي للملابس الجاهزة

"كيف حالك اليوم يابني" لفظ سعيد الألفي وهو مبتسم لينهض علي متفاجئ من على مقعده تاركا أوراق التصاميم من يده .

"سيدي ! أنا بخير حال والحمد لله"

"لقد قمت بتعلية مقامنا الأمس ، لقد قمت بتشريفنا أمام النقاد "

"أنت من قمت بتشريفنا ! الشركة مرفوعة باسمك وأعمالك سيدي!"

"أنت من تقول هذا؟؟؟ ههه ! أريدك بشئ هام"

"تفضل"

"أنت تعلم كيف هو حال الشركة ، انت تعلم كيف أن الادارة لن تسمح أن ندرج تصاميمك التي قدمتها ضمن المعرض القادم !"

"أعرف لكن سيدي..."

"يمكنك أن تقوم بالتعديل عليها قليلا لتواكب الموضة وموديلات السوق"

"لكن هذا سيدمر الفكرة التي اعتمدتها بها!"

"أعلم ، لكننا نحاول فقط !"

"حسنا سيدي ! شكرا لاهتمامك" - ليضيف قائلاً-" هل لي أن أعرف ما هي المشكلة بتصاميمي"

"أنت تعلم أنه يوجد العديد من الاشاعات تظهر هذه الايام عليك ! لذا لن تستطيع الادارة في هذه الفترة أن تخاطر بسمعة الشركة لذا..."

"حسنا حسنا ... فهمت"

"حسنا بني! بالتوفيق لك !"

"متشكر جدا"

ذهب الألفي بعيدا ليضع علي كل الملفات من يده متأففا بيأس ليريح ضهره ع الكرسي.

أمسكت عليا كوب الماء لتفرغه على جرعة واحدة ثم بدأت بالنقر على لوحة المفاتيح الخاصة بحاسوبها الشخصي ثم أكملت برمجتها لموقع الويب الذي تصنعه لحساب شركة البرمجيات التي تعمل لديها. لتسمع صوت اشعار هاتفها الخاص بحساب الفيس بوك لديها، أمسكت هاتفها لتنير شاشته بوجهها بموافقة على طلب الانضمام لمجموعة الدردشة السرية. بدأت تتجول بالمجموعة وتقرأ القواعد الصارمة لها : كل شخص من حقه أن يدردش ويقول ما برأيه لكن "الادمنز" لن يعرضوا أي اسم لكن بالمقابل ممنوع منعا باتا التشهير بأي اسم من اسماء الأشخاص بحجة التعبير عن الرأي.

أشاحت نظرها عن القواعد بلا مبالاة لتكمل الاستكشاف ثم وجدت منشور به سؤال:

"ما هو أكبر شئ مؤلم واجهته ويشكل مشكلة حياتك الحالية؟؟!"

لتجد أكثر من الف تعليق على هذا المنشور منهم أصدقائهم ومنهم من يتحدث عن التوقعات أو "العشم " ومنهم من يقول أن المشكلة أننا نعتمد على غير الله _سبحانه وتعالى_ لذا نحن نسقط ،وجدت تعليق وحيد وجدته بينهم هو الأقرب لقلبها : المشكلة أن الناس يرون مايريدون رؤيته وليس الحقيقة ثم يبدأون بالحكم على الآخرين.

أحست أن هذا التعليق يصف ما بقلبها أكثر من الآخرين ، ثم خرجت فوجدت منشور مطول ملئ بكلام مؤذي مدرج معه صورة لمصمم الأزياء نفسه . فبدأت تقرأه:

"انتشرت ظاهرة الشواذ كثيرا هذه الأيام وأصبح الشباب المؤنثين هم الموضة الآن وأصبحوا يمتهنون المهن النسوية أيضا وأصبحوا مصممين أزياء وفنانين لمساحيق التجميل وهكذا ، متى سنستيقظ ياأمة محمد، إلى متى سنظل في غفلة ؟! لا فيه من شيم الرجولة ولا الأخلاق ولا شيم الصحابة ..." لم تكمله من لهجته الحادة قليلا هذه، ثم تركت الهاتف من يدها لتكمل الموقع الذي كانت تعمل عليه.

جلس أمامه صديقه ليتأفف من نفس المنشور بلا مبالاة ويترك الهاتف من يده .

"ما بك ؟؟!"

"لا شئ ... العادي فقط "

هز صديقه رأسه بالموافقة ليقل له

"العادي ليس جيد أيضا"

"بالظبط" ليكمل حديثه بروية ويأس

"رُفضت تصاميمي مرة أخرى "

"ماذا قال هذه المرة؟ "

"نفس الحوار الخاص بالإدارة وسمعة الشركة ،بلا بلا .."

"رفضت بالكامل هذه المرة"

"لا ليس بالكامل بل قال لي أن أقوم بتعديلها لتشبه التصاميم الرائجة "

"كأنه رفضها"

زفر ليجيب عليه" يا مصطفى أنا لدي الكثير من التصاميم التي ثم رفضها بنفس الحجة ، متى سأتقدم وأنشر أفكاري التي عملت عليها كثير منذ عدة أعوام... لقد جعلوني يائسا من فكرة أنني قد أصنع خط انتاج خاص بي لديهم "

"اهدأ يارجل عيناك تدمع لا تكن ضعيفا هكذا!"

وهو يهز رأسه باستنكار"اصمت ، أنا لست ضعيفا!"

"حسنا فلتهدأ الآن ! دعنا نشتري شيئا نشربه أولا، ليكن عصير الليمون لتهئ أعصابك !"

"هل تهزأ بي الآن؟ "

بابتسامة "نعم ... اهدأ قليلا حتى نتحدث "

ابتسم علي ابتسامه جانبية نزل بمقتضاها دمعة على خده.

تحدثا سويا قليلا ثم ذهبا للتمشية ليذهب كلاهما لمنزله ليرتب خططه لليوم التالي.

أمسك علي بهاتفه الخلوي ليفتح ملفه الشخصي على الفيس بوك ثم يبدأ بكتابة الذي يشعر به:

"البكاء ليس ضعف

والتمرد ليس قوة

الرجولة ليست خشونة

والقسوة لا علاقة لها بالرجولة

الرجل هو من يحمل المسئولية كاملة على عاتقه

وأيضا لا يحتاج للتباهي بعضلاته كثيرا

فمن يحسن صنيعا فصنيعته لنفسه

وهو لا يحتاج الإقرار بصنيعته كثيرا"

ثم نقر لينشره بالمجموعة بدون اسم بنفس الوقت التي تستمر فيه هي بتصفحها لآخر الأخبار وهي متمددة على سريرها لتجد سطور الشعر المميزة تلك لتبدي إعجابها بها الكترونيا عن طريق الضغط على زر الاعجاب ثم تدخل لتعلق "وجهة نظر سديدة وراقية "

لتلاحظ أنه تم نشره منذ دقيقتان فقط وتجد شخصا ما يكتب تعليقا ردا عليها قائلا"هذا من دواعي الفضفضة فقط ^_^"

لتكتمل التعليقات "أعتقد أنها جيدة لحد كبير ... لم لا تنشرها باسمك ، هذا سيكون شئ رائع"

"لا ،لا أريد ... شكرا لاقتراحك"

"لم لا ! من الجيد للعديد من الناس أن تقرأ هذه السطور وتتواصل معك . أعتقد أنّ هذا سيساعد العديد من الأشخاص الذين يفكرون بنفس أفكارك ولا يستطيعون ترجمتها لكلمات ولا التعامل معها"

"طريقة جيدة للتواصل لكني لا أريد خصوصا في الفترة الحالية "

"حسنا... حظا موفقا واستمر^^"

"شكرا ... بالتوفيق لكي"

ثم انتهى الحديث بينهما لتكمل هي ماتفعله ويضع هو رأسه على وسادته مكبل الفكر.

في اليوم التالي

تستيقظ هي من على سريرها لتقوم بما تفعله كل يوم صباحا كالمعتاد : الذهاب للمغسل ثم تفرش أسنانها وتصلي ثم تلج المطبخ وتخرج وهي تحمل في يدها كوب "النسكافيه " الخاص بها.

بنفس الوقت يقوم هو بتناول طعام الإفطار مع زملائه بالعمل ليبدأوا جميعا التركيز على التصاميم بيديهم ويقوموا بإضافة التعديلات عليها حتى تصبح كل التصاميم متماشية مع نغمة مفهوم مترابط بينهم.

تبدأ هي بتصفح البريد الالكتروني الخاص بعملها لتبعث لهم الموقع الذي قامت ببرمجته ثمّ تتفقد هاتفها الذي يهتز مبعوثا برسالة من البنك تخبرها بزيادة رقمية بحسابها لديهم.

ثم يبدأ الجميع بوضع الملاحظات حول الأقمشة والخامات التي ستنفذ بها التصاميم على أرض الواقع ليذهبوا جميعا للمصنع الخاص بشركتهم حتى يقوموا بالتحدث مع رؤساء العمال عما يجب أن ينفذوه ليصبح كل شئ مستقيم كما أرادوا.

لتمسك هي بيد القماش وبيدها الأخرى الهاتف لتر صورة الفستان الذي ستصمم نفس تصميمه مع إضافة لمساتها الفنية عليه لتجعل منه شئ يعبر عن شخصيتها وحسها الفني.

مع انتهاء عمل كلاهما يصبحا متفرغين لمواقع التواصل الاجتماعي فيبدءا بتقليب حساب الفيس بوك الخاص لديهم ، لتقرأ هي رسالته ع الخاص لها:

"إنّها ليلة مثل كل الليالي

تجعل حديثنا عن الماضي حانٍ

وتذكرنا بأختها حاملة المآسي

بينما العمر كله لم يمر سوى ثوانِ "

وفي نهايتها مكتوب :" مرحبا اسمي علي ، اعتقدت انك أعجبت بأبيات الشعر خاصتي بالأمس لذا بعثت لكي بعض أبياتي القديمة لربما تعجبك هي الأخرى. " (منذ 26 دقيقة)

لترد عليه : "وأنا عليا . تشرفت بمعرفتك . لقد أعجبت جدا بها جيد أنك بعثتها لي شكرا جزيلا ^^"

"حظا سعيدا ... لكنكي هل " ليقم بمسح آخرها وإرسال "حظا سعيدا"

يظل تائه الفكر حتى يرن هاتفه لاتصال شخص مسجل باسم "الحقير" ليجيب على المكالمة باقتضاب" ماذا تريد؟"

"قابلني الآن "

"لماذا؟!"

"اريدك بشئ ما ، هيا انزل لي الان"

ليغلق المكالمة بوجهه وينزل السلالم باريحية ليرى صديقه بوجهه وهو يفرج عن ابتسامة واسعة

"تان تاتاااان"

"ماذا؟"

"يوم ميلاد سعيد! كل سنة وانت طيب"

" هكذا فقط!"

"وماذا كنت تعتقد ؟! هل كنت تتصور اننا سنذهب لتناول كعكة ضخمة مثلا؟"

"مثلما تقول"

"هيا بنا نذهب لنشرب شئ ما ، سأقوم بشراء عصير لك"

"اوه يا الهي!! هذا كثير جدا فلتجعلها بعيد ميلادي القادم"

"لا أبدأ ، بما أنك صديقي و_أب للصحاب كلهم_ يجب علي أن أشتري لك شئ مميز اليوم"

ليذهب مع صديقه ويقضي معه وقت لطيف مابين مشاكسات وضحكات ثم يعود للمنزل ليجد والديه أمام الباب ممسكين بكعكة مبتسمين ابتسامة صغيرة ندر أن رآها على وجهيهما لتقول والدته "كل سنة وانت طيب يا حبيبي"

"وأنت طيبة وبخير ياأمي" اقترب ليضمها ببرود

"كل سنة وانت طيب" قال والده باقتضاب بوجه صارم كأنه يقوم بتحية أحد جنود فرقته بالصاعقة.

"وأنت طيب يا أبي" مجيبا بتحريك رأسه للاسفل

لتلاحظ أمه التوتر السائد بينهما فتقطعه بطرافة مغلفة برزانة" ألن نأكل الكعكة أم ماذا؟ لقد قمت بخبزها بالشوكولا من أجلك ياعزيزي"

"هيا يا أمي"

جلسا وبدأت الأم بتقطيع الكعكة ليتذوقها الأب ثم يقول" تجعلني أجزع"

ليرد عليه علي "تناول أكثر... انها حلوة لك"

"إنها حلوة حقا لكن اعذراني الوقت تأخر ولا بد لي أن أنام"

لينهض وتظل عين نرجس زوجته معلقة عليه بعتاب. ليرد عليها علي "اتركيه ... لا بأس"

ليكمل حديثه ليفرحها"انها حلوة حقاا!!"

"حقا عزيزي؟! تناولها بالهناء"

ليكمل هو ملاطفته لها ثم يذهبا سويا كل منهما لغرفته للنوم . بينما تظل عليا سهرانة بسريرها وهي تقلب حساب الفيس بوك الخاص بها وتقرأ في أبياته التي أرسلها لها لترد عليه بأبياتها الخاصة:

"الحياة جميلة لكنها مثل الثعبان لديها سم بفاهها

يجعلك لا تعرف مشاعرك تجاهها

فلو كانت الاشياء بها جيدة وسيئة لكنت علمت ملاذك

لكن كل الأشياء بها حيادية الخير والشر فتسُمَّها

سم الحياة يكمن بسم الحيادية

وهذا مايجعل البشر تائهون بها حتى عند موطنهم"

وأضافت بعدها "بما أنك تحب الشعر أردت أن أريك الأبيات التي أكتبها أنا "

*

صباح يوم الجمعة فتحا عينيهما ليتفقدا اشعارات هاتفهم ، لتجده أرسل لها رسالة على الخاص

"لقد قرأت هذه الابيات من قبل بموقع ما ... هل أنت من كتبتها؟! هل أنت عليا الجندي" كتب فور قراءته لأبياتها باندهاش

"نعم! أنا هي ... في أوقات فراغي أكتب ما أشعر به عن طريق الشعر^^" قالت مبتسمة

"أنا أيضا أكتب حينما أكون متفرغ" ساد الصمت على محادثتهما الألكترونية ليقطعها بسؤاله

"وماذا تفعلين أيضا حينما تكونين تكونين متفرغة ؟!"

"أحب الخياطة ، أصنع ملابس جديدة لي "

"هل هذه هي مهنتك الرئيسية ؟"

"لا ... أنا مبرمجة مواقع الكترونية "

"تصورت أنك مصممة أزياء مثلي... أنا أعمل بشركة أزياء تدعى الألفي ، أدعى علي السمنودي إذا كنت سمعتي عني من قبل"

"نعم لقد سمعت عنك من قبل وأحب تصاميمك أيضا "

"شكرا لكي "

عرض آخر ظهور لها منذ دقيقة واحدة ثم اصبحت متصلة الآن وأرسلت له عدة صور

"أريني ما رأيك... انها تصاميمي"

"أوه... إنها رائعة حقا!!" أعرب عن إعجابه وهو منبهر

"شكرا"

"أعجبني تنسيق الألوان حقا ... هل سار التنفيذ هكذا بالظبط؟"

"نعم ... لقد وجدت نفس درجات الألوان بالأقمشة التي صممت بها"

"أوه... شئ رائع!" لم يجدا أي شئ يحدثا بعضهما فيه أكثر، فأنسحب كلاهما من المناقشة ويذهب هو ليفطر مع أهله ثم لصلاة الجمعة.

صعدت هي لوسيلة النقل العام حتى تذهب لميدان رمسيس ومنه تأخذ طريقا آخر لسوق الغورية لتشتري الأقمشة التي تريدها من هناك.

لم يكن هناك مكان فارغ فظلت واقفة محاولة أن تثبت مكانها حتى لا تسقط مع حركة الأتوبيس العارمة هذه ، فتجدها أحست فجأة بشئ يحكها عند مؤخرتها لتلتفت فجأة وتجد رجل منحرف كان يتحسسها، فبدأت تصرخ به وتسبه ليرفع هو صوته أعلى محاولا تكذيب اتهاماتها له، فتبدأ الجموع الغفيرة بالاتوبيس تتبادل النظرات وتجتمع تعليقاتها ، منهم من يراها فتاة سيئة وملابسها مغرية ومنهم من يرى أنه هو المخطئ ومنهم من تعالى صوته ليصرخ عليها ويقول لها أنها فتاة ليست مؤدبة لأن تنزل من بيتها أساسا. ابتلعت دموعها وحاولت الابتعاد عنه وأكملت مشوارها واشترت قماشها لتعد لمنزلها مغمومة النفس مقتضبة لتقص على والديها الجالسان بجانب بعضهما البعض على الأريكة ويقرأ كلاهما كتاب بيده ، وما أن انتهى ما تحكيه حتى رفع والده عيناه من الكتاب عليها ليلفظ لها ببرود" أنت المخطئة !"

"م....ماذا؟!" لترد بصدمة ووجهها مكفهر من البكاء

"المفروض أن تقولي لي أن أوصلك لهناك بسيارتي "

"ممالذي تقوله ياأبي ... أنا لم أرد ان ازعجك يوم أجازتك الوحيد"

لترد والدتها التي بدت موافقة لرأي والدها"ومالذي حدث الآن بفعلك هذا... كنت قلتي له بدلا من أن تجعلي الناس يتحدثون عليك بالسوء"

"لكنهم مخطئين ..." لم تكمل مقيلها لأنهم بدا عليهم اقتناعهم التام بما يقولونه فابتلعت دموعها بهدوء وتوجهت مباشرة لغرفتها لتغلق الباب عليها وتتمدد على السرير ودموعها تنهمر من وجهها .

***

بعد الغداء ظل هو صامت في وقت وجود أبيه معه هو وأمه ، لتبدأ هي بفتح الحديث

"اليوم أعمل على قضيه جديدة أعطاها لي محامي زميلي بعد حكم الاستئناف"

"واو ... هذا صعب...شئ رائع يا أمي!"

"هذا جيد!" ليرد والده وهو يقرأ بهدوء دون أن يرفع عينونه الأربعة عن الصحيفة التي يقرأها.

لتحاول هي ادراج زوجها بالنقاش "ومالأمور عندك بالجيش ؟ هل هي جيدة"

ليرفع عينه عن الصحيفة باقتضاب "مالأمر يانرجس؟! الأحوال كماهي لماذا تسألِ يعني؟"

ليتنهد علي وأمه وهما ينظران لبعضهما ثم أكملت هي حديثها مع ابنها ليتطرق للموضوع فكرة الانتقادات اللاذعة التي تأتي على مظهره وتصرفاته الأنثويه ليوجه والده له السؤال فجأة

"أريد أن أعرف ما فائدة هذا من الأساس؟"

"فائدة ماذا؟!" علي وهو يقضب حاجبيه باستغراب

"التصميم والملابس والفتيات الطويلة تلك. لم هذه المهنة بالذات؟!"

"لأنها شئ أحبه !"

"شئ تحبه _ليستدير بجلسته ليصبح هو وابنه وجها لوجه_ وهل ترى أنه من الضروري أن تعمل بشئ تحبه حتى بعد كل هذه الاشاعات حولك ؟! إنهم يقولون أنك شاذ يابُني ... انظر لي مثلا هل أنا أعمل ما أحب ... وهل أمك كذلك ؟؟! هذا ليس بالشئ الضروري وخصوصا إذا كان ضرره هكذا"

علي وهو يحاول أن يمتص صدمته من كلام والده "والدي العزيز ..."

ليقاطعه والده "نعم ... ألم يعجبك هذا الكلام؟!"

"بلى ... لكن طريقة تفكيري ليست مثل خاصتك"

"وما هو تفكيرك ... أن تصمد أمام هذا الكلام الفارغ؟!"

"والدي... أنا لا أهتم بحديثهم !"

"بالطبع يجب أن تهتم ... وإذا لم تهتم أنت فلا بد لي أنا وامك أن نهتم "

"هم أناس ليس لديهم أي عمل ... لذا يقضون وقتهم بانتقاد الناجحين"

"هذا لا يهمني ... ما يهمني أن يختفي هذا الكلام الفارغ"

علي وهو ينهض فاضّا المجلس "وأنا لا يهمني هذا الكلام الفارغ ... أنا يهمني عملي فقط!"

دخل علي لغرفته لتناديه أمه بصوت ملئ بالشجن "علي! ...علي!"

بينما عليا تتصفح حسابها بهدوء ظهر لها بيت شعر واحد من اسم مجهول منشور منذ دقيقة واحدة :

"أنا شخص تائه خائف أود تقبلك لي بدلا من نقدك... وحنانك بدلا من عقلك لأني لا أملك سواك"

هي عرفت من ألفاظه وفكرته أن علي هو من كتبه لتدخل على الخاص لديه وتبدأ بسؤاله" مالذي حدث الآن ... هل هو عراك نقي أسري مثلما لدينا اليوم بالمنزل؟"

ليرد وهو ينقر على الشاشة بفتور" نفس الحال :)"

"أمم ... حسنا! ماذا يكون الدواء لذلك ؟ التقبل أم التجاهل؟"

"إنه سم الحيادية كما وصفتيه مسبقا"

"بالفعل..."

"حسنا ... ماذا تفعلين الآن؟"

"لا شئ ... لكن ربما أبدأ بقراءة رواية جديدة "

"حسنا... استمتعي" ليغلق هو لينفرد بحزنه قليلا .حيث أن طريقته المثلي وقت الحزن هي محاولة استعادة طاقته بمفرده، عكسها هي من تبحث جاهدة على من يستطيع أن يحتويها.

***

"هل تعلمين ... أنا لا أجدهم سيئين أبدا" شكت بفتور لطبيبتها النفسية لتضيف وهي تومئ بالنفي مصدرة صوت تجفيف لأنفها الندي "انهم رائعون ...ولكن مهما حاولت لا أستطيع أن آخذ منهم ما أريد ... أريد فقط أن يحنوا علي وأن أشعر أنني ابنتهم"

لتقاطعها الطبيبة بصوت خافت "ومن قال أنّك لست ابنتهم؟؟ "

"لا أعلم ... أنا فقط أتصور أن الآباء يفترض أن يشجعوا أولادهم ويقفوا بجانبهم وقت الصعوبات ... حتى إذا كنت أنا من لديه الحق بموقف ما هم لا يدافعون عني أمام الغرباء "

لتصمت قليلا لتضيف وقد اتسع بؤبؤ عينيها "حتى أني أحيانا أرى آباء يدافعون عن أبنائهم بقوة حتى وان كانوا مخطئين _ لتمسح دموعها باصبعها مضيفة_ لا أريد شخصا ليبرر لي أفعالي لكني...لكنني أريد أن أشعر أنهم بجانبي ... بجانبي فقط "

بعد الجلسة مع طبيبتها النفسية أصبحت تشعر بفراغ كبير بصدرها بعد أن أفرجت عن مكنوناته. جاء والدها ليأخذها بسيارته مساءا بعد العيادة لتجلس بالمقعد الذي يجاوره ساندة

رأسها على الزجاج مبعدة نظرها عنه ، حتى أنه إذا سألها عن أي شئ كانت اجاباتها مقتضبة مختصرة ... هي لا تعلم لكن ربما هي تذكرت كل الآلام خاصتها الذي كان بها أبيها منذ فترة مبكرة في حياتها، هي لا تعلم لكنها تشعر أنها لا تكرهه وبنفس الوقت لا تحتمل وجوده بعالمها الآن. تظل صامته مكفهرة الوجه وهي تطمئن نفسها أنه بعد قليل سيصلا للمنزل وستحتمي بغرفتها ولن يكون أحد سواها بالغرفة لذا ستصبح مطمئنة . لأنه إذا كنت بمفردك...لن يكون هناك شئ يهددك أو يخدعك.

***

شعرت بالثقل حولي ... سمعت صوت عميق حاد ومتقطع ... أحسست بأني وحيدة في غابة يكسوها الثلج مليئة الذئاب والأسود والضباع ... كل شئ داكن من حولي ولم أر أي شئ سوى نفسي وأنا مرتدية فستاني الأحمر الذي أحبه . أظل أتلفت حولي ولكن من دون جدوى . أسمع صدى صوت ما يغطي عليه صوت أنفاسي المرتجفة المتعالية . لأجد نفسي فجأة منكسرة ممددة على صفيح سيارة بارد فيخرج السائق من السيارة وهو خائف ووالداي على الجانب الآخر يقفون بذهول وبدون رد فعل . وفجأة ! يعود ذلك الصوت العميق الحاد ويتبدد شعوري بالخوف ليحل محله شعوري الفاتر الممزوج بالثقل مرة أخرى.

***

بعد وصولها للمنزل مع "الشخص الذي تناديه ب أبيها" أو "الحاج محمد" دخلت لغرفتها الباردة وتدثرت بغطائها ... ليرفع هو الغطاء على وجهه وهو يتصفح حساب الفيس بوك قائلا لنفسه " هل سنظل هكذا بعد كل رفض...المعرض قادم لابد من أن تفعل شئ يارجل وإلا ستطرد"

ليترك هاتفه من يده ويمسك بحاسوبه المحمول محاولا التخلى بفتور عن بعض المفاهيم العزيزة على قلبه التي تتبناها تصاميمه ، ليحاول كتابه سطرين لطيفين لمديره وهر يرسل التصاميم له على بريده الالكتروني. ليجدا في نفس الوقت رابط لموقع لبيع الأشياء المستعملة معلن به بيع "حياة " شخص ما. يعرض وظيفته وتأميناته ورخصته وكل شئ مرتبط باسمه مقابل مبلغ ما، تجعد أنفيهما مع ابتسامته المستهزئه وضحكتها العالية ليبدأ بالتحدث على الخاص والاستهزاء والضحك بهذا المنشور لتضحك هي قائله "لم لم يعرض عائلته للبيع بالمرة ^^"

ليضحك بثقل من وقع جملتها التي تعكس شئ ما بنفسه "إذا كنت بموضعه كنت يجب لأضع والدي فوق البيعة"

"هذا قاسي جدا للضحك عليه"

"بالطبع ... معك حق ! " ليضيف " في الواقع كلنا معنا حق!"

"الحياة كلها قاسية "

"بالفعل TT" لتقرأ هي رده بفتور قائلة لنفسها "على الأقل أنت استطعت قول ما تريده"

***

بداية معرض الألفي لمجموعة الربيع

مع ازدياد شهرته وانتقاداته وزيادة شِعرها المنشور على المواقع ورواج فكرة بيع الحياة على مواقع التواصل سواء باستهزاء أو بانتقاد بلهجة لاذعة وتشهير ، ازدادت حياتهم الشخصية مع والديهما صعوبة وتعقيدا وكثرة الملابسات والخِناق مع والده من طرفه أما بالنسبة لها فهو تنامي في البكاء والجلوس بمفردها والذهاب لطبيبتها النفسية مع محاولة صديقتها لمياء للتخفيف عنها، ولكن كل هذا لا زال لا يعالج المشكلة .

ظهر هو بملابسه الأنيقة الملونة كالمعتاد وهطل عليه فلاش الكاميرات كالأمطار ترقبا له ولحركاته كلها بالمعرض. ودخلت هي المعرض بفستانها الهادئ لتجلس وترى العروض التي لديهم. لم يكونا شاهدا بعضهما البعض من قبل على الطبيعة لذا لم يتوقع أحد منهما وجود الآخر اليوم . جلسا بمقابل بعضهما لكن أحدا لم ينظر للآخر . ومع انتهاء العرض ذهبت هي باكرا حتى لا تتأخر عن منزلها وظل هو بوجود أقرانه ومديره بالعمل. وما أن عاد للمنزل حتى شاهدته أمه مرحبة به ونظر إليه والده باقتضاب بسبب ملابسه التي يرتديها : بنطلون "جينز" كحلي مع سترة "عاجية" اللون وشال وردي.

"ما هذا اللون؟!" قال والده وهو يرمقه بنظرة متجهمة

"ماذا..." علي باستغراب

"الوردي هذا ألاتراه؟! ألم أقل لك ألا ترتدي هذه الألوان ثانية "

"قلت ولكنني... لم أرد هذا"

"ولم ؟ هل يعجبك حديثهم عليك ... كل الناس تتحدث عليك بالسوء حتى جنودي بسبب هذه الألوان..."

ليقاطعه علي بنبرة مُعذَّبة وقد طفح كيله "فقط بسبب الألوان ومظهري الخارجي ... هذا كله بسبب مظهري فقط ! لم لم ير أحدهم نجاحي بعملي أو شخصيتي المهذبه أم لا...هذا كل ما

يريدوه : تعليق فشلهم على المظاهر فقط!" ليتركه ذاهبا لغرفته فيناديه أبيه بصوت عال"إلى أين أنت ذاهب وأنا أحدثك"

"نعم يا أبي" وهو يلتفت له في هدوء وارهاق

"كيف تجرؤ على أن تتركني وتذهب وأنا أحدثك ؟"

"لم أقصد هذا " قال وقد دمعت عينيه

"بلى ... أنت تقصد"

"عبد الخالق... اترك ابني وشأنه "

"ماذا ؟ ألا ترين كيف شكله وتصرفاته... هيا ربِّتي على كتفيه وضميه لصدرك لأن ابنك المدلل يبكي" قال وهو يصرخ بها

"أنا لست مدلل ماذا تريد ؟ لا تصرخ بوجه أمي هكذا!"

"كيف تتحدث معي بهذه الطريقة أيها الولد؟ هذه زوجتي كيف لك أن تتدخل بحديثنا " قال وهو رافعا يده لكي يضربه

"أنا لا أخاف منك ... أتركني أنا وأمي وشأننا"

"أمك؟؟ هذا الولد الوقح"

"عبد الخالق ... اهدأ ودعه يذهب حتى نتحدث !" قال أبيه وعلي ذاهبا للداخل

"ألا ترينه يانرجس كيف يبدو ... لقد بدأ بالبكاء بالفعل!"

"ربما هذه هي طريقته بالتعبير عن غضبه ... اتركه وشأنه ربما هذه ليست الطريقة التي نعامله بها"

"وما هي الطريقة التي يجب أن نعامله بها؟"

"لا أعلم لكن لنجعل كل شئ يهدأ الآن ... لِم أنت هكذا؟"

"استغفر الله العظيم" قال وهو يمسد وجهه بعنف ثم تركها وذهب.

سمع علي كامل حوارهما وهو بداخل غرفته لتدخل والدته عليه بعد ربع ساعة ممسكة بيدها كوب عصير برتقال وهي تناديه بصوت ناعم "علي... علِّو ... هل لي أن أتحدث معك قليلا ؟"

"نعم ... نعم يا أمي تفضلي"

"يبدو أن مزاجك لا يزال سئ لذا أحضرت لك عصير تشربه ...لربما يهدئ أعصابك" قالت باضطراب وهي تمد له كوب العصير ليأخذه هو ويضعه على الطاولة أمامه" أنا جيد الحمد لله لكني أريد أن أجلس بمفردي قليلا !"

"أنا أعلم مم أنت متضايق لكن لا تظن أننا لا نفهمك ... والدك خائف عليك قليلا لأنك ابنه وهو يريدك أن تكون دائما بأحسن حال ! " ظل هو صامتا لتفهم هي ما يريد قوله لتقل "أنت متضايق لكن لا تسمح لهذا أن يجعلك لا تفهم والدك " ثم خرجت عن الغرفة ليتأفف هو ويتمدد تحت الغطاء.

رفعت عليا الغطاء من عليها ووالدتها تعطيها بعض من الفطائر التي خبزتها بعد رجوعها من العمل لتقل لها "أمي..."

"نعم ... مارأيك بطعمها؟"
"رائعة بالطبع" لتخفض من نبرة صوتها "أريد أن أقول لكي شئ... اليوم وأنا واقفة بالمواصلات عائدة من الشركة حدث أن شخص ما تحرش بي ...لكن عندما صرخت بوجهه بدأ يصرخ بي وكأنني أنا المخطئ..."

"لم لم تتصلي بوالدكي أو على الأقل تركبي من الموقف الخاص بالحافلات بدلا من نصف الطريق بما أنك قريبة؟؟ بالطبع انك مخطئة ولا تحدثيني عن هذا الموضوع ثانية " لتتركها والدتها وتذهب وتبدأ عليا بمحاولة استجماع لشتات نفسها وتهدئتها من إثر الحديث مع والدتها.

***

بدأت أشعر بالبرودة وأنني وحيدة في فضاء رمادي ذو عبق يؤلم أنفي كأن هناك شئ ما يحترق، بدأت ألتفت يمنة ويسرة ولكنني لم أنل من هذا سوى الدوار الذي جعلني عاجزة عن الرؤية بشكل جيد حيث أصبح الكون من حولي يتقلب كأنما تحول كله لصفحة البحر التي تقلبها الرياح وتجتاحها الأمواج العاتيه. جريت حتى اخترق جسمي فجأة حائط شفاف نتج عن انشقاقه نور أبيض ملأ الأفق لأجد نفسي بغابة واسعة مليئة بالأشجار لأتلفت حولي ولا أجد أي شئ

.حتى شعرت بصموت الكون لبرهة فألتفتت حولي لأجد حية كوبرى واقفة ملاصقة وجهها لوجهي لأصرخ وأشعر بها وهي تلتهمني. ثم أعود لأحساس فاتر مرة أخرى.

***

حاولت عليا الاتصال بصديقتها لمياء مرات عدة ولكن هاتفها كان مشغولا فتحاول مرة أخيرة ليفتح الخط وتسمع صوت خافت يكلمها

"لمياء؟ أهذه أنتي؟" سألت عليا مجعدة وجهها مستفهمة

"نعم إنه أنا... أحدثك من المرحاض حتى لا يكتشف مديري بالعمل" قالت لمياء جاهدة في إخفاض صوتها

"من المرحاض ههه؟ ماهذا يافتاة"

"وماذا أفعل ؟ الرئيس هنا اليوم حتى ولدين اجتماع ... انه اليوم الأسوء على الإطلاق!"

لتصمت عليا قليلا بعد ضحكتها ثم لتقل "كنت أريد أن أحكي لك شئ لكنك لست متفرغة"

"لا إحكِ ... لكن بسرعة"

فحكت لها الموقف و ما قالته والدتها لها منذ قليل عن انها مخطئة

"لا تقلقي لابد أن يومها كان سيء فقط ... مثلي هكذا"

"لا ... لقد حدث موقف شبيه له منذ عدة أيام وكان لها نفس رد الفعل"

"يافتاة لا تغضبي كل الأمهات هكذا ... إنها قلقة عليك أن يصيبك مكروه فقط"

"لكن . لكنني لا أريدها أن تقلق علي بهذه الطريقة . كان يمكن أن تضمني لصدرها ثم تبدأ بمعاتبتي " ليعم الصمت ثم تزفر عليا قائلة "الحياة صعبة أليس كذلك ؟!"

"بالفعل يافتاة بالفعل ... المهم حتى لا أنس أريد أن أقابلك يوم أجازتي تمام . أخاف أن يكون لاحظ أحد غيابي عن مكتبي "

"حسنا حسنا... اذهبي الآن حتى لا يحدث شئ سئ "

"حبيبتي ... حسنا أنا ذاهبة الآن لا تغضبي من هذه المحادثة السريعة تمام؟"

"هيا سلام !"

أغلقت الهاتف وجلست لتتصفح حسابها ، فوجدت على الجروب بيوت شعرية بدت من ألفاظها أنه من قام بتأليفها ، لتدخل وتبعث له رسالة على الخاص قائلة له : "أبياتك معبرة حقا ... أما زلت لا تريد أن تنشر المزيد باسمك على موقع أكبر؟"

"أنت تعرفين ... ليس من السهل علي التعامل جيدا مع الكثير من الناس والآراء"

لتسأله هي باندفاع "حسنا مارأيك أن أنشرها أنا باسمي^^ ... أنت تعلم انها أعجبتني كثيرا وأريد مشاركتها حقا!"

"إذا شاركتيها باسمك ستعطيني تصاميمك وأنسبها لي. موافقة ؟!"

" هذا فقط ... موافقة !"

ومن هنا بدأ طريقيهما بالارتباط ..

***

في اليوم التالي

ذهب علي للشركة وبيده مغلف متوجها لمكتب المدير بخطوات طويلة منتعشة وهو يصفر . دق الباب بقوة من دون انتظار سماح السكرتيرة له بالولوج قائلا "سيدي ...أأنت متفرغ الآن ؟"

بعد جلوسها أمام حاسوبها المحمول دخلت على محادثتهم الألكترونية لتنسخ رسالته التي تضم أبياته الشعرية :

"البكاء ليس ضعف

والتمرد ليس قوة

الرجولة ليست خشونة

والصلافة لا علاقة لها بالرجولة

الرجل هو من يحمل المسئولية كاملة على عاتقه

وايضا لا يحتاج للتباهي بعضلاته كثيرا

فمن يحسن صنيعا فصنيعته لنفسه

وهو لا يحتاج الاقرار بصنيعته كثيرا"

ثم قامت بلصقها بمنشور على حسابها كاتبة أدنى أبياته الشعرية : "هذا ما أراه بالفعل"

ثم لتنشرها وتنتظر لتقرأ التعليقات التي تناقش روعتها وبعينيها نظرة انتصار.

بدأ رئيسه في العمل يقلب الورق المرسوم به التصاميم بعينين مبتهجة قائلا"عظيم ...عظيم"

ليقول علي باندفاع"ما رأيك سيدي؟ أيمكنني أن أقول أنّها فاجأتك؟"

ليرد الألفي بتعجرف يزينه وقار سنّه "بالفعل! لكنّها ليست من تصميمك"

اختفت ابتسامة علي المندهش "ك..كيف علمت بهذا؟"

"التصاميم واختيارات الألوان لها شخصية أنثوية جدا...لا بد أن تكون التي رسمتها فتاة "

ظل علي صامتا ليكمل الألفي حديثه"وإن كنت أعلم براعة وَ رقِّة تصاميمك لكن لا يزال هناك فرق! هناك إحساس خاص بهذه التصاميم"

ظل علي يتذكر هذا الموقف طيلة هبوطه بمصعد الشركة حتى استقل مواصلته ليعد بها لمنزله.

ظل الرابط يتردد كثيرا على المجموعة التي هما من المشاركين بها، أكمل علي وهو يزفر تصفح حسابه في حين بعثت له هي برسالة مرفقة بصورة لقطة شاشة لتعليقات الناس على الأبيات خاصته التي نشرتها صباحا قائلة بها "ألم تر؟؟ هذا ماقلته لك"

لينتسم هو ابتسامة جانبية مثقلة بالإحباط ويرسل لها "^^ حظ سعيد ... فلتفعلي بها ماتشائين!"

"أتحدث بجدية ... أي شئ تريد التعبير عنه ابعثه لي ... لقد أصبحت مدمنة على شِعرَك ^^"

"أتمنى أن يكون إدمان مفيد"

"لا تقلق ع أي حال انا سعيدة به"

"هنيئا لكي "

ليعم الصمت قليلا حتى يقول

"أصبحت بين أمرين ثالثهم بعيد

فوقع رابعهم وأنا منه مَكيد"

لتتكمش تعبيراتها الفرحة "أنت! .. لا تكن هكذا ستسعد عما قريب بالتأكيد لا تكن وحيدا هكذا!"

"أنا لست وحيد! من قال ذلك؟"

"كلماتك تدل أنّك وحيد"

"هل أنا بائس لهذه الدرجة؟"

"أنت بائس لأنك تشعر نفسك بهذا!"

"حسنا...ربما يكون لديك حق"

"حاول النظر من الجانب الآخر لربما يكون هناك شئ لا تراه من مكانك"

"حتى لو نظرت له من كل الجوانب لا تسير الأمور كما أريد"

"اصبر ! وهذا هو أصعب شئ بالقصة كلها"

"بالفعل "

ليكمل حديثه "سأغلق الآن"

لترد عليه باقتضاب "حسنا ... تصبح ع خير"

ليرسل لها بعد دقيقتين رابط على أوليكس لبيع الحياة ثم يرفقه برسالة "ألا تريدين فعل هذا ؟"

"ماذا؟؟؟ لكنك كنت معارض للفكرة الآن تريد موافقتي أنا؟"

"لا ... لكنني أر أنّك جيدة حقا بالأزياء وجديرة أن تشتري حياتي . إذن ما رأيك ؟"

"والله ... أنا أر أنّي لا أعرف الكثير عن هذا الموضوع ولا عن حياتك "

"بحسب ماعرفت حسب هذه الفكرة أنّك عند بيعك لحياتك يحصل المشتري على وظيفتك وتأمينك ويغير اسمه لكي ليتبع والديك ويعيش معهم حتى إذا أراد. هكذا الأمر يشبه التبني قليلا لكنه يصبح مثل أن تمحي شخص من الوجود وتضع نفسك مكانه!"

"هل جننت ؟ ما هذا ... ثم أنّه لكل شخص مشاكله الأسرية وحتى إذا تبدلت الأسر ستصبح هناك مشاكل ، وربما مشاكل أكبر بكثير وكارثية لأنّك اعترضت على القدر والسيناريو المفترض أن يحدث"

"لكن ربما هذه المشاكل تكون مع أفراد ليس لديك نفس المشاكل القديمة معهم ، وربما يصبح هناك حل ما مثلا باختلاف الشخصيات ..."

"لا تقنعني ... أنت لم تحل مشاكلك الأولى هل ستستطيع حل مشاكلك الجديدة؟"

"أحيانا المشاكل لا تحل ... مهما حاولت لا أستطيع أن أصل لتقبلهم لي فمازال أبي يتعامل معي كأني طفل صغير كلامه ملئ بالأخطاء ووالدتي تظل تتحدث لي بحنية وتدللني كطفل صغير."

"ستستطيع لكن حاول أن تتقبلهم أنت أولا وأن هذه هي حياتك "

"أنا لا أعرف الكثير عنك لكن هل تستطيعين أن تعيشي حياتك في دائرة مفرغة وتتقبلي من حولك وهم لا ينظرون لهذا بأي اهتمام؟؟ وأنت حتى لا تستطيعين أن تعتزليهم بسبب والدتك التي تحاول جاهدة أن تضعك في وسط الحرب حتى يحدث السلام ؟ هل هذا معقول في ظل فلسفتك الواهية هذه؟"

" لو كنت مكانك سأقبل بمن يحاول حل الأمور حتى وإن لم يكن مؤمنا بي كثيرا"

"أنت يمكنك مع بيع الحياة أن تكوني مكاني حقا ولكنّك لا تستطيعين أن تمحي في العادي شخصيتي وأن تختاري الطريقة التي أتصرف بها لأن ما أريده ليس ما تريدين "

"سأغلق الآن "

"لا أنا أتحدث إليك"

"لا ... أظن أنّ هذا الحوار لا بدّ له أن ينتهي الآن "

"حسنا اغلقي لكن راسليني صباحا "

"كما تريد لكن أود أن أنام الآن "

"حسنا ..."

وانتهت محادثتهم لينام كلاهما وهما مشغولان الفكر.

***

فتح هو عيناه ليتفقد الساعة بهاتفه الذكي ليجد إشعار برسالة منها

"أردت فقط أن أكون أمينة لذا أقول لك الآن أنّ والداك جيدان أكثر من والداي بالنسبة لأنهم يهتمون لأمرك كثيرا ، فهما كما ذكرت أنّه هناك شخص يقوم بحرب معك ويتحدث معك والآخر يطيب بخاطرك دائما في كل مشكلة . قد يجدي الأمر حقا ولكني لا أعلم ... فوالداي عكسهما في هذه النقطة بالظبط ولطالما أردت من يهتم لأمري هكذا"

ليرد عليها "أنا لا أكرههم لكني أريد أن أعيش بسلام قليلا "

"أنا لا أكره والداي أيضا ولكن هلي بسؤال: لم لا تحاول أن تقضي بعض الوقت بعيدا عن أهلك ... أن تسافر بعيدا مثلا؟ "

"لن يمكنني الاسترخاء إذا فكرت بأني سأعود على خناقهما ، لأنهما لن يتركاني أذهب فأنت لا تعرفي أبي . هو سيريد أن يجعلني تحت نظره طوال الوقت وكأنني سأفعل شئ خاطئ يجعل الناس يتحدثون به عنّي طوال الوقت "

"حسنا ... ما رأيك أن تهدأ قليلا وأن تقلع عن هذه الفكرة لفترة فقط "

"حسنا ... سأحاول . لكن ألا تعرفين ما قال رئيسي بالعمل على تصميمك ؟ لقد أشاد بروعتهما حتى أنّه قال أنّهم سيتم تنفيذهما خلال المعرض القادم"

"حقا... هذا رائع"

"بالفعل فأنا لم أر رئيسي معجب بتصاميم أحد من شركتنا بهذا القدر من قبل"

"لم ؟! مستحيل أنّي قمت بمعجزة "

"لا ... كل المصممين في الشركة لدينا رجال لذا هو أعجب بلمستك الأنثوية . أنت تعرفين أن الشخصية والإحساس يظهران بالتصميم كثيرا "

"بالطبع هذا ما يحدث "

"إذا أردت أن تأتي الشركة وتعملي لدينا سيكون هذا شئ مبهر"

"لا أعرف لم أفكر بالخياطة كمهنة من قبل وكنت أر أني لست محترفة رغم أنّي كنت أحب ما أصمم حقا"

"بالطبع... لقد فهمت إحساسك لكنك جيدة "

"شكرا..."

"حسنا سأغلق الآن لأتجهز وأذهب للعمل "

"حسنا ... تفضل"

أغلقت المحادثة وعيناها تلمعان من الفرحة ليذهب هو لعمله سعيدا ومثقلا بنفس الوقت.

***

بعد تكملتها لعملها على حاسوبها الشخصي على الساعة السادسة مساءا راسلته قائلة :

"هل أنت بخير الآن ؟"

ولكنّ الرسالة لم تصل بعد.

وفي اليوم التالي بعثت له رسالة صباحا ولم تصله ولا هي ولا الأولى.

ثم في اليوم الذي يليه وهي تتناول حبوب الإفطار أرسلت له حتى تطمئن عليه لكنّه لاتصله الرسائل حتى.

ظل الحال على هذا المنوال لمدة أسبوع وهي لا تسمع عنه شئ، ثم جاءتها رسالة على هاتفها من رقم تجاري يخبرها أنّهم يتشرفوا إذا عملت كمصممة لحسابهم بمرتب ما ، ثم وجدت أنّ هذا الرقم تابع لشركة الألفي ، فذهبت للمقابلة ووافق الرئيس عليها لكنّها قالت أنّها متوترة قليلا وهم قالوا أنّها لديها مهلة أسبوع لتفكر في ما إذا كانت تريد العمل معهم على التصاميم التي أرسلها "علي" أم لا.

ظلت هذا الأسبوع تحاول العثور عليه وحتى مهاتفته ولكنها لم تعثر عليه أبدا. فقررت أن توافق على العمل معهم . وفي الليلة التي ستصبح على إمضاء العقد معهم أرسل لها هو رسالة

"حاولت لكنني مازلت وحيد ، أصبحت وحيدا على وحدتي"

لتبعث له "أين أنت ؟ ولم لم تردّ على مكالماتي ورسائلي"

ليختفي هو مرة أخرى من المحادثة ولا يرد على أي شئ أبدا.

***

فجأة يوجد العديد من الناس حولي وكلنا منتظرين قطار أشبه بالقطار الذي يوصل هاري بوتر لهوجروتس ، وقفت أنا من دون مبالاة بم ينتظرون وكأني لم أجئ لهذا المكان بقدمي . فجأة امتلأ الهواء بدخان القطار لنركب جميعنا وفجأة نستمع لصراخ شديد . ثم لأجد نفسي جالسة بحجرة القطار الصغيرة مع أسرة غريبة ويهتز بنا القطار المتحرك . لأجدهم في سكون تام دون حراك واستمع لصوت الصراخ مرة أخرى بطريقة مركزة بأذني ثم أجد كل من معي بالحجرة قد غادرتهم أرواحهم وتركتهم مفتوحين الأفواه الأعين . ثم انهمرت دماء من عيناي بسرعة وسلاسة كالحبر.

***

وضعت عليا القلم الحبر المزخرف من يدها بعد إمضاءها للعقد . بدت متوترة كثيرا وظلت تبحث عنه فالأرجاء كمحاولة فاشلة منهما أن تجده، ظل المصممين والموظفين زملائها يهنئوها بوجوه مبتسمة لكنّها ظلّت شاردة الذهب وهي ترد لهم الابتسام. بينما ظل هو شارد الذهن أمام شمس المغرب والأمواج المتراطمة على الشاطئ وهو قابع على صخرة عيناه مثقلة وممتلئة بالمشاعر الحزينة والمحبطة ، ويتردد بذهنه أصوات تأنيب ضميره وتألّم قلبه: لماذا لم تنجح

بهذا رغم أنّ ذلك هو عملك الذي طلبته من الحياة ؟ لماذا حيّوها وشجعوها هي بينما أنت لم يروا لديك سوى أخطاء؟! لم كان هناك تعليق شديد وسئ على مظهري ولم يكتشف أحد ما بداخلي؟؟! هل يعقل أن يكون والدي على صواب بينما كنت أعمى طوال الوقت أحارب بينما أنا مخطئ؟؟؟!

رنّ صوت صاجيَّ بائع العرقسوس المتضاربين باذنه فجأة فقطع تفكيره ثمّ ليمسد جفنيه متنهدا مطولا "يالله ...ياولي الصالحين " ثم ليزيد وهو ناهضا " يبدو أنّك ستظلّ أعمى لمدة طويلة حتى مع معرفتك لرغباتك ولن تصل أبدا لهويتك"

عاد لشقته الصغيرة التي استأجرها فور وصوله لاسكندرية ليشغّل هاتفه ويوصله بشاحنه الكهربائي لتصله رسائل مع صفيرها المعتاد: عدد 42 مكالمة فائتة من "ماما" .

تنهد وهو ينقر على الرقم ليتصل بها لتتحدث إليه بلهفة بنبرة معذبة وراضية بنفس الوقت"ابني... أأنت بخير؟ أين أنت ؟ لم لا ترد على الهاتف؟ هل أكلت أم ماذا ؟؟"

ليرد عليها مبتسم قليلا "أنا بخير لا تقلق..."

"كيف بخير ؟ أنت بعيد عن المنزل ولم تخطو به لمدة أسبوعين كاملين ؟ كيف ونحن لا نعرف حالك ماذا تفعل وكيف تأكل ؟ كيف يسهل عليك مقاطعتي هكذا من دون أن تقول حتى؟!"

"أمي..."

"عُد حالا !!!"

"لن أستطيع . أنا بخير هنا "

"بما أنّك بخير لم لم تحاول أن تطمئنني عليك ؟ كان يجب عليك أن تقل لي أنّك تريد المكوث بمفردك وأنّك مسافر ، بهذه الطريقة كان ليكون الوضع أفضل"

قال بنبرة متهيجة فجأة "لا يوجد وضع أفضل يا أمي - أخفض صوته وهدّأ أسلوبه- حينها لم تكوني لتوافقي ولا أنت ولا والدي "

"كنت سأعلم أين أنت على الأقل " وغمر السماعة صوت بكائها

"سامحيني يا أمي "

"بالتأكيد سأسامحك لكنني خائفة ، خائفة جدا عليك "

"لا تقلقي علي ... فأنا عليّ الصبي الذي قمتي بتربيته وأصبح كبيرا الآن ! لا تقلقي علي يا أمي صدقيني فأنا لا أستحق دموعك الغالية "

"أريد أن أراك يابني ... قلبي لا يقدر على تحمل فراقك فجأة هكذا . تكون نائما بجانبي بالغرفة الأخرى لأجد ابني الوحيد فجأة تحول لفص ملح ذائب"

"حسنا حسنا لا تبكي ! سأسوي الحساب مع المالك وأستقل أوّل قطار للقاهرة لا تقلقي"

"هل هو بالسادسة صباحا؟"

***

بوسط غمام وشبورة الصباح الباكر والرياح الباردة ليناير انتظرته أمّه ومعها والده العابس على عكسها هي التي تتأوه من الشوق والخوف على ابنها، عيناها تبحث عنه لتحضنه فجأة متلهفة فور رؤيتها له .

"وحشتني ... اشتقت لك كثيرا يابني ! كيف تفعل بي هكذا فجأة "

"لا تقلقي يا أمي أنا بخير ! "قال وهو يتنشق عبيرها وهو يحتضنها

"هيا للمنزل !"قال والده وهو مجمد التعابير

***

نادت طفلة صغيرة بصوت عالٍ "أمي... أمي هل أنتِ بخير؟"

"نعم !"

"إذا لماذا لا تبتسمي ؟!"

"لا أريد "

"لم أقصد ذلك! أرجوكي صدقيني"

"أنا أصدقك ياعليا ! " تنظر لإبنتها وعيناها حمراوتان جاحظتان

"إذا لم أنتِ هكذا؟ اضحكي قليلا ، ابتسمي !" لتبدأ دموعها تنسدل على خدّاها الصغيران الحمراوان وهي فاتحة فمها الذي يفرج عن أسنانها القليلة المتفرقة به و تصدر زنّة طفولية من كثرة حزنها الذي أصبح كبيرا جدا على قلبها ولا تستطيع تحمله.

"عليا ! أنا بخير" لتنهض تاركة عليا التي تضم يدها على ملابسها لتزلها وتذهب مشيحة نظرها عن ابنتها الباكية.

تذكرت عليا المشهد لتبدأ بالشعور بالغثيان وارتفاع حرارة الجو لتنادي مساعدة الطبيبة عليها لتدخل عند د.زينب طبيبتها النفسية لتحضر جِلستها .

***

في المنزل عند العودة

"كيف تفعل هكذا فجأة ... أنا لم أتوقع أن يحدث منك مثل هذا التصرف لكن الآن الخطأ هو خطأي"

" لقد عاد بالسلامة اتركه ليرتاح قليلا "

"سيرتاح لا تقلقي ... لكن ربما بعقاب مثل الأطفال الصغار بالحبس في غرفته حتى لا يتصرف بهذه الهمجية "

"عقاب؟؟؟"

"بالطبع ! هل حسبت أنّ هذا فندق أو نزل وليس منزل له رجل ؟! من هنا فصاعدا الدخول والخروج باستئذان وليس بمواعيد محدده مثل السابق"

"لكن أنا كبير وحر"

"أنا الكبير هنا ولا تنس هذا أبدا"

"ياجماعة... ياجماعة اهدءوا قليلا وصلوا على النبي"

"عليه الصلاة والسلام . ما أقول هو الذي سيحدث. لا خروج أو دخول لك سوى باستئذان مني أنا ! مفهوم؟"

تركه والده بعد أن أنهى حديثه ليظل علي متسمرا وأمه لازالت تتأوه من هول صدمتها من اختفاء ابنها فجأة من جانبها في غضون ساعات الليل فقط.

***

عندما كنت بالثانوية بالمدرسة ذات مرة سقط مني قلم على الأرض وعندما هبطت لاسفل لالتقطه ونهضت ماسكة اياه بيدي اخترق عين زميلتي لمياء وانفض السائل منها وانتشرت صرخات زميلاتي في الأنحاء ، لقد كان الأمر صادما لي جدا ولقد كنت أحاول أن أهدأ من روعي وأن أتقبل فكرة أنني أذيت زميلتي وصديقتي المقربة بنفس الوقت . أصبح الخوف يأكل في لحمي حينها وأصبحت أشعر باحساس لا يطاق بينما ظل الجميع من حولي ينظرون لي على أنني مجرمة بالرغم من أنني لم أقصد ذلك أبدا.

ثم انتشر احساس الخوف والتهديد ووعيد زملائي واصدقائي بكامل جسمي وكأنهم ينظرون في عيني كلهم بنفس الوقت مثل الشبح بعيون بارزة متوعدة. استمر هذا الاحساس مع زيادة برودة كلما تذكرته .

***

"لدي أخبار جيدة " قالت وهي تجلس ع الكرسي أمام الطبيبة النفسية

"خير... مالذي حدث؟!"

"لقد وقعت عقد مع شركة على تصميماتي التي ذكرتها لك من قبل"

"حسنا هذا جيد !"

"بالطبع لكنني لم أعتقد أنني سأفعل هذا من قبل"

"هل كل شئ بخير ؟ احكِ لي"

"ذلك الشاب عرض علي فكرة بيع الحياة لكي أكون المشتري"

ازالت الطبيبة نظارتها عن عينيها لتدقق النظر بمريضتها

"بما ان هذه الصفقة ليس من المتعارف عليها والمنتشرة لذا يكون الشخص البائع متكفلا بأغلب المسؤلية حتى لا يقع شئ على عاتق شركة التسويق لذا..."

أراحت ظهرها للخلف متسائلة "وما هو رأيك ؟"

"رأيي أنّ هذا حتى اذا تم لن ينجح . لا أؤمن بفكرة الفرصة البديلة "

"ربما ليست كل المواقف هي فرص، وربما ليست الفرص هي فرص بديلة "

"ماذا؟ هل هذا يعني أنك موافقة على هذا الشئ أيتها الطبيبة؟"

"أنا لم أقل هذا لكن هناك بالطبع فرص بالحياة "

"حسنا ... ماللذي أفعله الآن ؟!"

"أنت تعلمين أنّ القرار قرارك لكن ... لا تقطعي اتصالك بي حسنا؟"

"بالطبع!"

***

ظلت هي تبحر بأفكارها بالحديث الذي دار بينها وبين الطبيبة قبل ساعات : هل التبديل جيد ؟ أم سئ ؟! أم أنّه خرافة أصلا كما اعتقدت هي أولا ؟! هل ربما الطبيبة ترى أنّ هذا مجدي ؟ ربما؟!

ارسلت له رسالة "كيف حالك ؟! آمل أن ترد على رسالتي"

ليرد هو عليها بعد 27 دقيقة "بخير...كيف الأحوال عندك"

"لا أعرف... "

"حسنا ... عندما تعرفي اخبريني حسنا؟"

"بالطبع!"

تنهدت هي لتخرج من غرفتها وتذهب للمطبخ لتجد أمها هناك "أمي..."

"ماذا هناك؟" سألت وهي مشغولة بتحضير طعام للغد

"كنت أريد أن أسألك عن شئ ما "

"اسألي لم المقدمات ؟" وهي تنظر لها مبتسمة

" أنت ... هل..كيف كنت ترين النموذج الذي سأكبر لأصبحة؟ من كنت تجديني أشبه عندما كنت حامل بي؟"

"أنت ! (صمتت وتركت كل مافي يداها لتتذكر مبتسمة بصفو) كنت أراك أميرتي . كنت أرى دائما أننا سنصبح أفضل أصدقاء ، ونحن هكذا بالطبع أليس كذلك ؟"

"بالطبع _ابتسمت بفتور _ لكن ، لِمَ لم تفكري بانجاب أطفال بعدي؟"

"عزيزتي ! لم أكن أفكر بأنّي أحتاج للكثير من الأطفال ، فكرت أنني لن أستطيع أن أعطي الحب لأكثر من طفل معا في نفس الوقت . لكن أحيانا عندما نتحدث ونتناقش بحدة سويا، أفكر في أنني ربما لم أستطع أن أمنحكِ الحب لك وحدك أيضا."

"لا تقلقي أنت لديك والدي أيضا ولا بد أنّكما تتبادلان الحب والمشاعر سويا "

"هناك أشياء لا تكون هكذا ... هناك احتياجات للمرء تشبع من جانب معين وأيضا أحيانا يقابلنا الشخص الخطأ لكي نشبع منه احتياجنا . فقد يكون الشخص الذي نشاركه علاقتنا متعب ، لذا نحن نصاب بالإحباط ولا نستطيع أن نعطي الآخرين ما يريدون منا أيضا "

نظرت لأمها بحنان عليها وشفقة ، كم أرادت أن تحتضنها ولكنها لم تستطع فعل ذلك . ذهبت لغرفتها وهي تحاول تهدئة نفسها قائلة " لا أستطيع أن أكرهك يا أمي ، أحبك ولا أريد أن ألومك . لكن ماذا إذا استطعت أن أعيش حياتي وأن أعوض ما كنت أريده من شخص آخر . سامحيني!"

***

تواعدا أن يتقابلا لأول مرة في وسط البلد بمقهى بالساعة الرابعة عصرا . لم يتوقعا أنّ الشخص اللذان حادثاه من خلف عدتهم الالكترونية سيصبح شخصا يتعاملون معه مباشرة مثل بقية الناس اللذان تربطهم بهم مواقف الحب والحزن. حتى وان كان بينهم حديث وحكايات لكنه لم يكن يشبه المواقف الحقيقية التي حكوها لبعض. وأيضا وجودهم المتفق عليه أمام بعضهم البعض على الميعاد يثبت وجود كل شئ تشاركاه سويا : الشعر ، الحديث والفضفضة وحتى الألم.

نهضت هي مرحبةً به عندما ميزته من بين الداخلين للمقهى بينما هو ظل يبحث عنها بعينيه لتلوح له بيدها أمام وجهه" مرحبا..."

"أه..." رد محاولا الاستيعاب "أهلا !"

"أستاذ علي أليس كذلك ... أنا عليا "

"أهلا وسهلا!"

"تبدو رائعا مثل الصور ... ذوقك بالملابس رائع حقا "

تفقد مظهره الذي لم يخطط له كثيرا قبل النزول : معطف عاجي يصل لركبتيه ليظهر ساقية الملتفة ببنطال جوخ ناعم وشال نبيتي نحيل ملتف حول عنقه مرتين.

"أه... شكرا لكِ"

أشارت له باحترام للجلوس أمامها ليجلسا متأملين ملامح بعضهما بصمت دون أن يلاحظ الآخر لتقطع هي الصمت مقترحة "ماذا تشرب ؟"

"ماء من فضلك !"

"لديهم هنا شاي تفاح لذيذ . لقد جربته مرة من قبل "

"حسنا هذا يبدو جيد !"

ابتسمت له ليأشر هو للنادل "اثنان شاي تفاح من فضلك "

لتضيف هي"أريد بعض القرفة في كوبي من فضلك "

"أتأمراني بخدمة ثانية "

"لا . فقط زجاجة مياة "

"حسنا ياسيدي"

"حسنا اخبرني ! لم اقترحت أن نتقابل بوسط البلد بالذات رغم قرب سكننا من بعض ؟ فأنا أسكن بمصر الجديدة وأنت تسكن بمدينة نصر. "

"هذا المكان قريب من مكتب التوكيلات الذي تتم فيه عملية بيع الحياة "

"هل وجدت مشتريا أخر؟"

"لا ، أريد فقط أن أوضح لك الأمور حتى تأخذي فكرة أوسع "

"أ...حسنا !"

تناولا الشاي ليتوجها مباشرة لمكتب التوثيق ليرحب بهم الموظف ويجلسهم في مكتبه شارحا إليهم الأوراق التي يحتاجونها والتي ستتغير تماما للشخص الآخر مثل : البطاقة التعريفية الشخصية ، عقد السيارة والمنزل إن وجد ، التأمينات ، عقد العمل مع إقرار من الموظف

المسؤول على تحمله لكافة المسئولية مع امكانية عدم تحويل عقد العمل للشخص الآخر لسهولة فكه والتخلي عن العمل باستقالة.

ليضيف في نهاية شرحه أنّهما أول شخص يأتي له مستفسرا عن عقد بيع وشراء الحياة هذا وأنّه استغرب في بادئ الأمر عند اقتراح الفكرة عليه من قِبل التطبيق والمسوقين في بادئ الأمر ، لترد هي عليه "أعتقد أنّه ربما يكون حل لمشكلة ما ، اعتقدت للوهلة الأولى أنّه يشبه التبني لكنّ هذا الأمر بالتبديل"

"نوعا ما أستاذتي ، لكنّ عقيدتنا تضع حدود معينة لأمر التبني فما بالك بهذا الشئ"

قائلا هو "سنستطيع تدبر أمرنا حيال هذا الأمر ، أعني أننا سنترك ما يخالف عقيدتنا "

"عموما كل شئ سيكتب بالعقد ... حسنا ، لقد قمتم بتشريفي اليوم "

لينهض الاثنان لتسأل هي "لكن ... هل العقد متاح لديك بالمكتب الآن ؟"

ليرد مترددا"ب ..بالطبع نستطيع كتابته ، لكن هناك العديد من البنود ... كثيرة جدا ، لذا سيتطلب بعض الوقت مع التوثيق أيضا مع السجل المدني سيتطلب الأمر بنهايته حوالي أسبوعان"

"أسبوعان بعد بدء الإجراءات؟ "سأل هو

"نعم ، أسبوعان وبعدها ستصبح شخص آخر قانونيا "

"حسنا ، نريد استخراج العقد وحينما تكتمل كتابتة سنأتي بكافة الأوراق" قالت وهي تنظر لعينية لتتأكد من موافقته. "هذا هو رقمي " . ليضع هو بطاقة عمله "هذا هو رقم هاتفي أيضا ليأخذ الموظف البطاقتان ناظرا اليهما وهو يشير برأسه موافقا "شرّفتم !"

***

عادت هي للمنزل في السابعة مساءا لتجد والدتها وافقة بالمطبخ بانتظارها وتحضر لها الطعام ، نظرت عليا لظهرها بندم وهي تقول لنفسها "لا تكرهيني أبدا يا أمي ، رغم كل الخلافات بيننا سنظل دائما أفضل أصدقاء. كل ما أردته هو أن تفهميني أكثر من هذا ، تربتي على كتفي وقت غضبي لكنّك تتركيني هكذا حتى أصفُ وهذا يقتلني ، أنا ليس لديّ غيرك لأنّه حتى صديقتي الوحيدة مشغولة جدا، وأكبر مخاوفي هو أن أتخيل أنّه يمكنني فقدانك، لكنّكي لا زلتِ لا تفهميني. "

التفتّ أمّها لتجدها متسمرة بهذا المنظر وهي لم تتوقع عودتها أساسا لتشهق فجأة " بسم الله الرحمن الرحيم ... لقد فزعت يابنتي" لتظل عليا واقفة حزينة لتبدأ فجأة بابتلاع دموعها دون أن تلاحظ والدتها وتتسحب لغرفتها.

عاد هو لبيته ليجد والده ينتظره بتساؤلات طويلة وخناق لتحاول أمّه العائدة للمنزل في وقت مناقشتهما الحادة أن تفك عقدة شجارهما فيستمرا في حوارهما حتى تسأم هي وتتركهما وتدخل تستريح وقلبها يؤلمها بسبب يومها الطويل الشاق الذي انتهى بصوت عالي وليس براحة كما تمنت.

بعدما تمكن من الإفلات من أبيه ، دخل علي لغرفته ليبعث لها رسالة "لم أكن أتوقع أنّك ستوافقين أبدا ."

لترَ هي الرسالة ولا ترد وهي تبكي على الوسادة فيزفر هو غاضبا ويتصل بصديقة "مصطفى ... هل تعرف مكان لشقة صغيرة مناسبة ؟ أنا أفكر بالانتقال للعيش بمفردي "

"عزيزي ... فجأة هكذا ... إذا تعال لشقتي وسأدبر لك الأمر "

***

كلما أتخيل السعادة تتجسد في ذهني كفتاة صغيرة تلعب بالحديقة مع أبيها وأمّها ، تجري لتكتشف الأماكن والناس المجاورين ثم تأتي خجولة جذلة لتضم أمها ... تماما مثلي أنا .

لا أستطيع أن أتخيل أي شئ الآن أو أن أتحكم في ما أراه لكن ... لكن كل شئ موحش وبارد من حولي ، أشعر أنّي وحيدة ومن دون أمّي ... ربما سأبكي الآن.

***

في صباح اليوم التالي

الساعة العاشرة صباحا

طرق علي باب شقة مصطفى ليفتح له الأخير وهو بنصف عين لايزال لم يستفق من نومه بعد ليدخل علي وبيده حقيبة ملابسه وأغراضه المهمة ،ليصيح مصطفى محركاً كتفه

"ألا يوجد تحية ولا صباح الخير أولا ؟" ثم يغلق الباب ليكمل اسئلته "ألم تفق حتى الآن ؟ ماذا سنفطر؟"

"إفطار ماذا ؟ ثم كيف خرجت هكذا هل والدك سمح بانتقالك ؟"

"بالطبع لا ، أمي وأبي في العمل وخرجت بعد خروجهما وإلّا كان أبي سيقيم علي الحد"

"كيف هذا ... هل سيمر الأمر بهذه البساطة عندما يعود؟"

"لا، لن يمر. أنا سأعود لمنزلي اللآن! "قال وهويدير رأسه وبيده حقيبته عائداً لمنزله

"لا حسنا حسنا ... لنأكل الآن ثم لنفكر ماذا سنفعل !"

-وضعت عليا الماء الساخن بكوبها لعمل قهوة سريعة التحضير وهي بشركة الألفي تعمل على التصاميم التي صممتها للمعرض القادم ، ثم نظرت للساعة بهاتفها الذكي لترسل رسالة لعلي "أين أنت ؟؟ ألن تأتي للعمل أم ماذا ؟"

لينظر هو لرسالتها ويرد مقتضبا"لا لن آتي فأنا في أجازة بمرتب منذ فترة ،وبالمناسبة ... لقد اتصل بي موظف من مكتب التوثيق وقال ان العقد جاهز ، بالتوفيق لكِ"

لترفع هي حاجباها مندهشة من الرد ثم تضع الهاتف على وجهه لتكمل مشروبها ثم تراجع التصميمات التي سترسلها للمصنع اليوم.

بعد إفطار كبير متأخر، بدأ علي ومصطفى بترتيب غرفة لعلي وتنظيم المنزل سويا قليلا لتتصل به والدته فجأة متسائلة أين هو ليرد عليها "أنا بخير يا أمي لا تغضبي مني وسأعود للمنزل قريبا أنا لست ببعيد " ويطمئنها رغم تحذيرها له من غضب والده وأنّ فعله هذا سيعرضه للمزيد من المتاعب في المنزل بالمستقبل ثم يغلقا الخط.

عادت هي للمنزل ثم بدأت باخراج ورقة وقلم وترتيب أفكارها حول بيع الحياة ووتبديل مع علي كل شئ : الاسم والعائلة والتأمينات وكل شئ. ثم تجد أنّ والدة علي شخص حنون بالطريقة التي أرادتها هي وأنّ أهلها هم أشخاص عقلانيين بشدة مثل علي وهذا ربما سيصبح شئ جيد له . أنهت نخطيط ثمّ اتصلت بعلي "ماذا ستفعل غدا بالظهيرة؟"

***

ميدان رمسيس – وسط البلد – القاهرة

اجتمع علي وعليا عند مكتب التوثيق مع وجود كافة الأوراق لديهما ثم يعطوها للموظف المسؤول ليخرج لهم عقد ابتدائي مكتوب بمقدمته : عقد بيع – شراء للحياة ليسحبه فجأة من

ناظريهما قائلا "لكن تذكروا دائما ! يجب لأي طرف من الطرفين إلغاء عقده وقتما شاء لأنّ هذا شئ جديد كما تعلمان " ليأخذا الاثنان الورقة بتردد ثم يعود كل شخص الى حيث جاء منه.

دخلت عليا على والدتها وهي تحتضنها من الخلف ليضحكا سويا ثم تنظر لوجهها وتتأمله لتقل لها أّمّها بدلال"اتركيني يافتاة ... الطعام سيحترق "

"أمي... أنا ..."

"ماذا ؟"

"أنا ... لا شئ!"

"حسنا ،هذا جيد ههه"

ابتسمت عليا لتدخل الى غرفتها وهي تشعر بالثقل والراحة في آنٍ واحد ، ظلت نرجس المحامية تعبث بملفات العمل بدون تركيز بسبب تفكيرها في ابنها وحالته المتقلبة التي لا يُفهم منها شئ لتزفر مهمومة وتترك أوراق العمل ذاهبة لزوجها الجالس في الصالة ومن ثمّ نظرت إليه وسألته بحيرة "أتظنّ أنّنا مخطئون ؟؟ وإذا كنّا كذلك فيما نحن قد أخطأنا ؟!"

"لا أعلم ... لا أعلم يانرجس ! لكن أنا لم أعد أستطيع أن أفهم تصرفات هذا الولد أبدا!"

"أريده فقط أن يكون حولي لمَ هو هكذا ؟ هل هناك ابن في العالم يفعل ذلك بوالدته مثله ؟"

"لا تقلقي ... أنا هنا معكِ لن أتركِكِ وحيدة أبدا مهما طال العمر."

انتقلت هي من مكانها لتجلس بجانب زوجها وتريح رأسها على كتفه.

لطالما كان "عبد الخالق السمنودي" و"نرجس" زوجته شخصان يعلو وجهيهما الصرامة طوال الوقت ، فهذا بسبب حكم مهنتهما : فهو ظابط عسكري بالجيش وهي تعمل محامية، لذا يمكنك أن ترَ مدى التأثر الذي قد تؤثره غلظة عملهما بتفكيرهما . ورغم كل هذا يظل هناك جانب انساني ناعم من كل شخص فينا لم يتأثر بشئ بعد ، لا يزال يحس ويقدر المشاعر الجميلة الرقيقة . وتظل مشاعر الأبوة والأمومة هي مبرر يغلف كل تصرفات الأب والأم ، سواءً كانت مقبولة أم لا.

لكن هناك دائما فجوة أجيال بين الآباء والأبناء تجعل هناك شئ غير مكتمل ، تجعل الأحداث لا تسير بنعومة كما يتمنى الجميع . تؤثر في عقول الطرفين وتجعلهما غير قادرين على فهم الآخر بصورة واضحة . لكن تظل مشاعر الحب والأمان هي ما يجمعنا سويا .

***

استأذنت عليا والداها في أن تذهب لرحلة عمل تابعة لمؤتمر المبرمجين الشباب العرب وستستمر لمدة ثلاث أيام لتغادر المنزل بكل احتياجاتها الضرورية في حقيبة سفرها ، وذهبت لبيت أهل علي مع الأخير ليعرفها عليهما ويريهما العقد ليظل الاثنان واجمين بصمتهما بعد وقوع الخبر على مسامعهما ، ليجمد وجه أمه قائلة "أهذا ماكنت مبتعدا لأجله ، أكلّ هذا بعد ماقمنا بوهبك الحياة وتنشئتك تنشئة جيدة . لمَ يابني قمت بذلك لما..."

ليشير لها زوجها لأن تصمت ليقول"أفعلت ماتريده ؟ اذهب لا أنت ولدي ولا أعرفك! "

"عبد الخالق لا !"

"هذا ماقام بفعله بالفعل ، ماذا تظنين يانرجس؟!"

قام علي بمحاولة تهدئتهما قائلا "حسنا ... لا أعرف كيف أقول هذا لكن عليا أصبحت الآن فردا من الأسرة موضعي قانونا ، وتستطيعان التصرف كما تشاءا لكن اسمها أصبح من اسميكما الآن "

"مبارك يابنتي ، يارب نكون أسرة جيدة لك، هيا اذهب الآن هيا للخارج " قال والده وهو يدفعه خارج الشقة بينما صاحت أمه بصوت متألِّم "لا تفعل اتركه أرجوك!"

"هيا للخارج !"

ليخرج علي خارجا ويغلق والده خلفه الباب ناظرا لعليا قائلا بهدوء لزوجته "سأخرج الآن!"

ويغلق الباب خلفه ليمكث الليلة لدى صديق مقرب له ثم حدّث زوجته بهذا على الهاتف حينما كانت الأخيرة تدخل عليا لغرفة الضيوف محاولة تنظيفها من التراب قليلا لتنظر إليها عليا متأملة ملامحها الشاكية المتألمة لتعتذر منها قائلة "هل لي أن أتحدث في هاتفي من فضلك ؟"

"تفضلي يابنيتي ! الصالون لا يوجد به أحد"

خرجت لتحدث والدتها للهاتف لتخبرها أنّه هناك خطب ما فتم إلغاء الرحلة وستعود للمنزل بالغد مع شخص قامت بدعوته على طعام العشاء بالمنزل ، ليقع نظرها على لوحة يبدو أنّها رسمت بعد ولادة علي ببضعة أشهر والتي تضم الأسرة بثلاثتها بأفواه تكشف عن كامل أسنانهم من اتساع ضحكاتهم . لتقل في نفسها "هذا يذكرني بالكثير في أسرتي أيضا !" . ثمّ ثلج الغرفة

لتحاول الاستراحة بها لكنّها لم تعتد على المكان بعد فتخرج لتجلس مع أمّه الحزينة محاولة التحدث معها لتسألها الأخرى "اعذريني لكن كيف قمتما بذلك؟! لمَ"

"أنا..."

"مالذي جعل الأمر صعبا جدا عليكم لتقوموا بالتبرأ من أسرتكم هكذا؟!"

"إنّه ليس تبرأ هكذا ! إنّه مثل اختيار فقط!"

"وهل كنتما غير موفقان في قدركما لهذه الدرجة؟"

قالت بهدوء محاولة تهدءتها "ليس الأمر هكذا لكن ربما سيكون من الأفضل يعني ... كتجربة شيئا مثلا !"

"لا تتحدثي بمثل هذه البساطة ، هذا الشئ جردني من حقي كأم !"

"لا أبدا ! لا تقلقي . الأسماء متغيرة فقط بالبطاقة الشخصية لكن يمكنك أن تظلّي أمَّه كما في السابق !"

نظرت نرجس لها نظرة تأنيب لترتعد عليا متضايقة وتومئ لها برأسها مستأذنة لتدخل الغرفة وتجلس ع سرير الضيوف ودموعها على خدها. لتحاول نرجس التهدئة من روعها وتدخل عليها الغرفة قائلة "اعذريني لكن هل أهلك يعرفون بهذا الأمر وأنّكِ هنا الآن؟!"

سكتت عليا مكملة بكائها في صمت حتى غفوت قليلا لتنهض في الصباح الباكر وتحسن من مظهرها المضطرب إثر النوم لتخرج من الغرفة وتجد والد ووالدة علي موجودان على المائدة منتظرينها لتظل هي متجمدة في موقفها لتحسّن نرجس من المزاج قليلا "تفضلي ! لمَ أنت واقفة هكذا ؟ مرحبا بكَ في أسرتنا الصغيرة !"

لتجلس عليا بأدب وهدوء لتقل نرجس بطريقة يغلفها التهكم "يمكنكِ أن تناديني بأمي إذا أردتِ!"

ليرد عليها عبد الخالق والد علي "نرجس ! لا تعامليها هكذا هي ليست مذنبة ! الذنب ذنبنا نحن ، نحن هما من لا يستطيعان فهم ومواكبة أفكار الشباب الآن"

لتظل عليا صامته ويقوم والد علي قائلا "مرحبا بكِ يا بنتي ! مرحبا بكِ في أي وقت ، بالمناسبة علي كان قد حدثنا عنكِ في وقت سابق حينما كنت تراسلينه . نحن نعلم كل شئ لا تقلقي! – ليستدير مغادرا – آه بالمناسبة ! أنا مقيم خلال هذان اليومان في بيت قريب من هنا لذا لا تقلقي من شئ ما وأمّ علي هنا تجلس معكِ وإذا احتجت شئيا ما هذه هي بطاقة أرقامي . حسنا !"

ردت عليا بهدوء مبتسمة قليلا "حسنا!"

ليغادر والد علي بابتسامة بسيطة ومطمئنة ع وجهه وتظل عليا صامتة لتقاطع أمّ علي هذا الهدوء قائلة "هل أهلك بخير بالمناسبة ؟ هل هم قريبون ؟"

"نعم! لقد طمأنتهم البارحة ، لقد كنت هنا البارحة بسبب علي فقط هو من دعاني لهنا لقد كنت سأقيم لدى صديقتي!"

"لا ! أنتِ هنا بخير ، ستبقين هنا عندنا !"

"أنا سأذهب لأمي اليوم مع علي لأخبرهم بالأمر"

"حسنا ! ماذا يعمل أهلك ؟"

"والدي هو أستاذ بالجامعة ووالدتي طبيبة أسنان "

"جيد! لقد أخبرنا علي أنّكِ شاعرة "

"ليس الأمر هكذا بالضبط ! أنا أعمل مبرمجة وأنشر الشعر الذي أكتبة أوقات فراغي كذلك !"

صمتت الأخرى قليلا لتضيف عليا "وأنا الآن أعمل بعقد لحساب شركة الألفي مع علي أيضا !"

"علي ماذا ؟- لتضيف وهي تعدّ شطيرة - علي ترك التصميم منذ حوالي شهر أو أكثر وهو الآن لا يعمل "

"أوة ..."

وضعت نرجس الشطيرة أمامها قائلة "تفضلي ! أنت لم تأكلي طعام العشاء حتى "

تناولت عليا الشطيرة ثمّ حضرت نفسها وذهبت لتقابل صديقتها لمياء بعد استئذان من والدة علي.

***

في مقهى بوسط البلد

الساعة الثانية عشرة ظهرا

"ماذا تقولين يافتاة ؟ مالذي فعلتيه؟!"

"لا تنظري إليَّ هكذا استمعِ لي جيدا !"

"هل لازال هناك شئ آخر يسمع؟!"

"اسمعِ! سآخذه اليوم حتى ليقابل والديَّ ...- صمتت قليلا متنهدة – لا أعلم إذا صدمتهم ستكون أقلّ من والدا علي أم لا "

"علي إذا... ذاك الفتى الشاذ؟!"

"لا تقولي شاذ من أين جاءت لكم فكرة شاذ تلك ؟ "

ثم أضافت وهي تنكز عليا "وأنتِ أيتها الفتاة ألست من كانت تقول لي اصبرِ اصبرِ وكانت دائما تستمع لمشاكلي . لديّ مشاكل مثلك أيضا ومثل الجميع وأنت خير من يعلم ولم أفعل هذا قط"

"أنا فعلت ذلك لأنّي أعتقد أنّه شئ ما قد يساعد في حل مشكلتي مع والديّ "

ردَّت لمياء وهي شاردة نافية برأسها "لا أعرف ... لكن لا أظنّ أن هذه الفكرة ستجلب شيئا جيدا من أثرها"

تنهدت عليا لتكمل لمياء حديثها مستفهمة "متى ستأخذيه ليقابل والداكِ؟"

الساعة 5 بعد صلاة المغرب

في بيت عليا بمصر الجديدة وهم جالسون بالصالون قبل الغداء

سألت أمّها مبتسمة "إذا أنت زميل عليا في العمل ، أليس كذلك ؟"

"بالفعل !"

"هل تسكن بالقرب من هنا؟"

"أمِّي!" حاولت عليا إيقاف أسئلتها بهدوء ليجيب علي مبتسما

"أنا أسكن لدى صديق لي قرب الشيراتون ، نحن نسكن سويا هذه الفترة "

ثم ركَّز والدها في الحديث سائلا "أليس لديك شقة ؟"

"لا ليس لديّ ! هل كل شئ بخير؟" سأل ناظرا لعليا لتجيب الأخرى بهدوء وصوت منخفض

"بالطبع ! أبي ... لمَ هذه الأسئلة المباغته التي ليس منها فائدة ؟"

"ليس منها فائدة كيف يافتاتي؟ أين ستسكنون بعد الزواج؟"

وقف علي فجأة متفاجئا "زواج... من قال زواج ؟!"

لتجيب أمّها ببساطة "ألم تقومي بدعوته لأجل هذا؟ أنت لم تقومي بدعوة أيّ شاب إطلاقا من قبل"

"بالفعل يا أمّي لكن ثمَّة شئ آخر علينا التحدث بشأنه"

"شئ ماذا ؟!" سأل أبوها وأمَّها بنفس اللحظة

ليرفع علي العقد "هذا العقد !"

"ماهذا العقد؟! هل هو زواج عرفي؟!"

"عقد بيع حياة ! لقد قمنا أنا وعليا بتبديل اسمينا وقام كلينا بوضع اسم والد وعلئلة الآخر في البطاقة وكل شئ رسمي آخر به ورق أو تابع للحكومة قد تبدل"

"ما هذا ؟ أنا لا أفهم شئ!"سألت أمها

"هذا يعني أنَّنا ..."أردفت عليا بتوتر محاولة إيضاح الأمر ليكمل علي باندفاع "لم نعد ابناء نفس العائلة قانونا ، قمنا بتبديل للعائلة أيضا! عليا فالبطاقة ليست ابنتكم بل ابنة والدي وأنا بالعكس ابنكم ويمكن لكم التواصل معها كالسابق لكن أنا تابع لكم قانونا بالاسم . وأنا لست قاصرا أنا شاب راشد بالغ من العمر 23 سنة ولا تقلقي ياسيدتي –مشيرا لأمها باحترام-أعيش بمكان آخر مثلما قلت فلا داعِ للحذر من العواقب أو شئ من هذا القبيل!"

لينهض والدها متحدثا بصوت جهوري بعصبية"ماهذا الذي تقوله ياولد ؟!"

"الذي سمعته ... هذا ماقمنا به"ردَّ منفسا عن غضبه

"أتقوم بالردّ علي بمنزلي ؟! هيا اخرج من هنا! أتستهزون بي هل تخترعون دينا جديدا ؟! أنت ابنتي بالشرع حتى لو القانون لم يقل هذا"

بدأت والدة عليا تتنفّس بصعوبة وهي جالسة لتقترب منها محاولة مساعدتها ليصرخ والدها بها"لمَ تقومين بذلك وأنتِ لم تعودي ابنتنا هاه؟ لقد تبرَّأتِ منّا ونحن تبرّأنا منك أيضا بفعلتكِ هذه!"

لترد بصوت متهدج وهي تبكي "الأمر ليس هكذا والدي" ليكمل علي"ليس الأمر وكأنّها لم تعد ابنتك ! يمكنك التواصل معها كالسابق مثلما قلتُ"

"مالذي قلته أخرجا للخارج هيا !أخرجا أنتما الاثنان " قال وهو يجذب عليا من ذراعيها بعيدا عن أُمّها "أبي ... اسمع!"

"هيا لا تعودا أبدا " ليغلق خلفهما الباب ذاهبا لإحضار رذاذ التنفس من الدرج ويعطيه لزوجته - التي تبكي- ثم يربت على كتفيها.

أكملت عليا بكاء على والدتها بالخارج وهي تلكم الحائط غيظا "لم ينبغي أن يكون الأمر هكذا ... لا !أمَّي!" لينظر علي لعينيها بأسف ثم تأفَّف وهبط الدرج ليعود من حيثما جاء. جفَّت دموع عليا بعد قليل واقتربت من باب شُقة والديه لتدخل لكنّها لم تستطع بعد نوبة أمِّها . فنظرت للسماء الكحيلة وتفكّر أين تستطيع أن تقضي الليل بعد طرد والدها لها. فرفعت سماعة الهاتف لتتصل بوالد علي وتحاول أن تقابله في مقهى قريب.

الساعة الثامنة مساءا

بمقهى بمدينة نصر مع عبد الخالق السمنودي والد علي

"أنا أردت أن أقوم بإيضاح شئ ما لك يا سيدي!"

"تفضَّلي يا بنتي "

"عقد بيع الحياة ليس كما تعتقد ... إنّه ليس تبرأ أو شئ هكذا إنّه يعتبر تبديل أوراق لا أكثر وإلَّا ... يمكن للشخص المغادرة من بيته وعدم العودة أسهل"

"اسمحيلي لكن لم أعتقد أبدا أنّ شئ كهذا يصح في ديننا ، لأن بمقتضاه يتم تغيير النسب وتغيير الأب والأم"

"لكن يمكنك أن تظل ابنهم ليست هذه الفكرة "

"عموما فيم نتحدث ... ابني الوحيد أصلا هاجر المنزل منذ زمن ولا يريد العودة إلينا ... هو قام بما يريدة من دون أيّة أوراق حتى " ثم دقّق النظر فيها مكملا"وأنتِ... هل تركت البيت مثله أيضا"

"لا ليس في الحقيقة ... في الواقع أهلي هما من قاموا بطردي للخارج ويبدو أنَّه بسبب العقد ليس بوسعي أيّ شئ أفعله لأنّي لست تحت مسؤليتهم"

"عودي للمنزل ... عودي وأمّ علي سترحب بكِ لا تقلقي . هي صارمة قليلا لكنّك ستجدينها إنسانة جيدة حقا ! وأمَّا بالنسبة لوجودي لا تحملي هم لأنّي أمكث في شقة بالقرب من العمل . حتى الآن أصبح الطريق أسهل للعمل من هناك " ليبتسم قليلا ثمّ ينهض عن الطاولة "لا حديث أكثر عودي للبيت أوّلا وربما ألاقيكي على الغداء غدا " ثمّ ترك بعض الأموال على الطاولة وأدار رأسه ذاهبا لتختفى ابتسامته ويحل موضعها ألم ووهن كأنّه أصبح أكبر في السن بفعل الخبر . ثمَّ نهضت هي ذاهبة لمنزل أهل علي وهي مكسورة حزينة ودموعها تبلل وجنتيها هي تمسحها . ثمّ وصلت لتفتح لها نرجس الباب وهي تحاول تغيير ملامح وجهها من الحزن والعبوس للابتسام لترحب بها للداخل . لتدخل عليا باكية بصمت مستأذنة نرجس أن تدخل للغرفة لتسمح لها بالدخول ثمّ تغلق باب الغرفة عليها لتسيل دموعها.

نهضت مبكرا في اليوم التالي لتأخذ أغراضها وتذهب للعمل في نفس الوقت الذي قامت والدتها بالاتصال بها وهي بالطريق، لتجيب عليا على المكالمة :

"أُمّي ! أهذا أنتِ"

"السلام عليكم ! اعطني رقم ذاك الشاب الذي جاء للمنزل البارحة"

"آه علي ... كيف حالكِ لقد كنت أبكي البارحة من الخوف عليكِ"

"الحمد لله ! أين الرقم ؟"

"أمّي لم تحدثيني بهذه النبرة ؟"

"لا تقولي أمّي !"

"لمَ ... لقد فهمتِ غلط والله العظيم!"

"ابعثيه برسالة ولا تتأخري ! " لتغلق المكالمة في وجه عليا من دون سلام لتبكي عليا في وسط الشارع محاولة التماسك حتى لا يقول أحد المارّين شئ ما عليها لكنّها لم تستطع.

***

الساعة الخامسة المغرب

عيادة د. زينب محمود للطب النفسي

قصّت عليها كلّ شئ حدث وكف قام أهلها بطردها من المنزل وأنّها ليست مرتاحة بوجودها في بيت علي بسبب نظرات والدته لها ، لتوقفها الطبيبة وتطرح عليها سؤال:

"بعديوأنتِ بماذا تشعرين عندما تنظر إليك ؟!"

"أشعر بالذنب ... أشعر أنّني السبب في كل هذا وأنّني بسبب عدم صبري قمت بتدمير حيوات الآخرين."أجابت بصوت منخفض متألم به بحَّه صغيرة بنهايته لتكمل الطبيبة حديثها بصوتها الهادئ الرصين:

"اسمعِ يا عليا ! الصبر ليس كلّ شئ ، أحيانا تظلّ بمكانك طوال الوقت معتقداً أنَّه الصبر . وأحيانا أيضا عندما تتصرف حينها لا بد لك أن تصبر وتنظر حولك قليلا . حتّى عندما نتصرف ونظُنّ أننا بخير أحيانا تكون الفكرة من الأساس خاطئة . فلاتقلقي !"

"لا أعلم إذا كانت وجهة نظري صائبة أم لا لكن هل تعرفين رواية د. چيكل ومستر هايد ؟ الشخصية الطيبة والشريرة . أنا لا أعتقد أنّ أيّ من بني البشر ينتمي إليهما لأنّنا نحن جميعا متكونين من الخير والشرّ سويا . لم أرَ شخص طيب فقط وجيد من قبل ولا شخص شرير فقط . هناك العديد منذ طفولتي من لم يتوافقوا معي جيدا وكانوا يقومون بالسخرية مني والتنمر عليّ مطلقين عليّ ألقاب لا أرَ أنَّها تنصفني: مثل طفولية ولديها أبوها وأمّها ويفعلان كلّ شئ من أجلها أو ألقاب لا تناسبني مثل ذكية ومجتهدة وفقط. كلّ الناس منذ صغري قاموا بالتعامل معي علي إنّي هايد أو چيكل وهذا كان دائما مثل الصخرة على صدري ولم تتزحزح قط بسبب عدم تغيير فكرتهم عنّي. والآن بعد ماسببته بأمِّي ونظرات والدة علي لي أصبحت أعلم لمَ كانوا ينظرون إليّ بهذه الطريق..."-صمتت فجأة واضعة يدها على فمها لتبكي ناظرة للأسفل ثمّ نظرت لعيني الطبيبة مكملة"أنا لم أكُن أعلم أنّي شخصا مؤذيا هكذا في الوقت الذي كنت أكافح فيه بكُلّ قوتي لإثبات أني انسان طيب كما اعتقدت "

"لكن ألم تقولي من قبل أنّك ترين أنّه لاوجود لشخصية طيبة أو سيئة ؟!"

"لا أعلم أيّ شئ لقد اعتدت على التفكير هكذا من قبل لكنّني الآن لا أعلم أيّ شئ من حولي حقا ! أنا حتى لست مستقرة بمكان للعيش به "

"حسنا فهمت. أمازلتِ مستمرة على الدواء الخاص بنا ؟!"

"نعم !"

"فلتستمري على هذا المنوال وحاولي أن تقومي بكتابة مشاعرك في ورقة كلّما خطرت أيّ ذكرى منذ زمن بعيد لذهنك . "

"لكنّني لا أعتقد أنّه يمكنني الصمود هكذا!"

"نحنُ سويا لا تقلقي ! وأنا أنتظرك بالأسبوع المقبل"

"حسنا لكن هل يمكنني سؤال شئ؟ هل يمكنني أن أتمسك بمعتقداتي القديمة؟!"

"الإنسان ياعليا لا يتكون سوى من مجموعة أفكار و معتقدات وإذا قمتِ بالتخلي عنها هكذا حينها ستقومين بإلغاء وجودك! لذا لا تفكري في الأمر في وقت ذروته هكذا . اعطِ لنفسك فترة لتهدأي حتى تستطيعين الحكم على نفسك وعلى غيرك جيدا "

"حسنا ... شكرا لكِ!"

"معادنا الأسبوع المقبل ، لا تنسِ!"

غادرت عليا وهي تجفف دموعها لتستريح بصالة الاستقبال وتشرب كوبا من الماء لتدفع مقابل الجِلسة وتغادر عائدة للمنزل قائلة في نفسها"ربّما سيسمحوا لي بالدخول إذا قمت بترجيهم !"

***

"اجلس يابني" أمرته والدة عليا وهي جالسة أمامه بالصالون لتكمل هي بينما ينحني جالسا بأدب"مالذي قلته بالمرة الفائتة؟!"

"آه... عقد بيع الحياة ؟! ماذا بخصوصه؟"
"لماذا؟"

"لماذا ماذا ياسيدتي؟"

"لمَ قمتم بذلك سويا؟!"

"أنا لدي أسبابي ولا أعلم تحديدا لماذا وافقت عليا على ذلك رغم أنّها كانت رافضة تماما"

"كانت رافضة تماما، أليس كذلك ؟"

"نعم! رافضة"

"هل من الممكن توضيح أسبابك لي؟"

"يعني... أنا مثل أيّ شاب لدي طموحي وخططي التي يعارضها والداي ، لذا..."
"حسنا ! فهمت" لتتنهد هي مكملة وهي ترفع رأسها بصمود لأعلى "هل لديك فكرة ماذا تفعل هي الآن؟"

"من ؟ عليا ... أه! لا أعلم فآخر مرة رأيتها كانت منذ يومان عندما كنّا هنا . لكن عليا لم تكن لتفعل هذا أبدا . يبدو أنّها حاولت مساعدتي فقط فهي لم تقل أبدا أنّها تريد التخلي عنكم!"

رفعت والدة عليا رأسها ناظرة لعينيه بدهشة قائلة "أنا أعرف نواياها لا تقلق ! الكلام لن يفيد بشئ... أنت تعيش بالقرب من هنا صحيح ؟!"

"نعم سيدتي!"

"هذا جيد ! يمكنك المرور من وقت لآخر علينا إذا احتجت شئ"

"حسنا ! أستأذنكِ بالرحيل"

"تفضل!" نهضت لتوصله للباب لتجد عليا واقفة أمامه بجمود لتخرج هي علي بينما نظرت للأخيرة ببرود ثمّ أغلقت الباب بوجهها.

ظلّت عليا صامتة ثمَّ اتصلت بوالدها وهي أمام الباب ليرد عليها"أتركيها وشأنها فصحتها ليست جيدة "

"أبي ماذا تقول؟ أنا لم أكن لأضرّها أبدا وأيضا ليس لديّ أيّ مكان أخر لأذهب إليه"

"عزيزتي ! الحياة اختيارات فاختارِ الطريق الذي ستحظين فيه بما تريدي!" ليقوم بانهاء المكالمة من دون سلام بينما لم تستطع هي منع نفسها من الانهيار فظلت تبكي بشدة وهي تهبط على الدرج وتتصل هاتفيا بصديقتها لمياء لتستأذنها بالمكوث لديها ليوم واحد لتردّ لمياء عليها معتذرة أنّها لن تستطيع فعل ذلك بسبب عودة والدها من سفره.

ظلّت جالسة على السلّم لا مكان لديها لتذهب إلية حتى بعد آذان العشاء وهدوء الشارع من المارّة ، لتتصل أمّ علي بها تطمئن عليها لتخبرها أنّها ستمكث لدى صديقتها فتأمرها الأخرى بالعودة للمنزل وأنّها لن تستطيع المكوث لدى صديقتها.

عادت للمنزل بينما فتحت نرجس لها الباب بفتور بوجه لا يظهر عليه تعابير مميزة ، لتدخل الأولى للغرفة بينما أعدّت لها الأخرى شطائر وعصير لتأكلهم بنَهم ثمّ لتغرق بالنوم.

استيقظت صباحاً بشعر مشعث لتخرج من غرفتها وتجد والدة علي جالسة على مائدة الطعام المجهزة بالكامل تنتظرها ليتناولا طعام الإفطار سويا مشيرة لها بالجلوس"تفضلي!"

"حسنا ..."

"كيف أصبحتِ ؟ لقد كنتِ تتحدَّثين بصوت عالي وتصرخين بينما أنتِ نائمة !"

"أنا..."

"هه..بالطبع!"

"لا ... لقد كان حلمُ سئ فقط!"

"حسنا... هل لديكِ عمل هذا الصباح؟"

"نعم! هناك العديد من الأشياء التي يجب أن أنجزها لأرسلها للمصنع!"

"ألا تعرفين مكان علي؟!"

"اطمئني سيدتي! إنّه بخير لا تقلقي"

"كيف لا أقلق؟!وهو بعيد عنّي"

"هو بعيد لكنّه بخير أنا متأكدة "

"هل سأراه قريبا ياترى؟..."

"أستأذنكِ! سأقوم بالتجهز للعمل لذا سأذهب " قالت ناهضة

"حسنا!"

***

وصلت عليا للعمل وبدأت في تجهيز التصاميم والأوراق الهامة التي ستذهب للإدارة لتمسك بهاتفها الذي لا ينفكّ عن الرَّن منزعجة قائلة في نفسها "علمت أنّي متأخرة عن الإجتماع انتظروا قليلا فقط!" لتجد إشعار بذكر أحد لها بمنشور ما لتفتحة وتجد به بيوت شعر تقول

"الحرية قرار أنت تصنعه

ومثل كلّ شئ لها حساب تَدفعه

فليس بالقرار والعمل تأتي الأماني

بل هناك للقرار والعملِ عواقب"

اندهشت بعدما وجدت صفحة **علي السمنودي** الشخصية هي من عليها هذا الشعر ، لتأخذ حاجياتها واوراقها لتذهب لإجتماعها.

وجد علي عدّة تعليقات رائعة على أبياته مثل : مشجعة جدا ، رائعة ، ويبدو أنّه وقت التحرك لول ...، لم أكُن أعتقد أنّك تكتب شعرا جيدا هكذا... .

بينما ابتسم علي جذلان فخور بنفسه ليكمل كتابة أبيات أخرى.

قاطع مصطفى صمته بصوت ناعم هادئ "أنت فَرِح جدا أليس كذلك؟ -ليصرخ فجأة- على الأقلّ قم بتنظيف الخرابة التي صنعتها هنا !"

ليرد عليه علي من دون حتّى النظر اليه "اسكت ! دعني أركّز"

"طبعا ... طبعا! " ثمّ ذهب ليتمتم بكلمات غير مفهومة بغيظ.

فتح علي مراسلته مع عليا ليرسل لها "كيف حالك ؟ هل أنتِ بخير؟"

ليتصل بها بعد مرور الوقت لتردّ هي على مكالمته "السلام عليكم!"

"أهلا ! وعليكم السلام كيف حالكِ ياعليا؟ هل أنتِ بخير؟"
"الحمد لله !" ردت باقتضاب ليسألها بنبرة جادة هادئة:

"هل هناك شئ ما يزعجك؟ هل والدتي جيدة معك؟!"

"كيف عرفت أنّني لا أزال أقطن هناك ؟ أه! أنت من طلبت منها هذا بالتأكيد... شكرا لك هي اا... بخير"

"حسنا ... أردت فقط معرفة كيف حالك!"

"حسنا! سأغلق الآن" لتغلق الخط منزعجة وهي تدخل مكتبها .

ابتسم علي ابتسامة مكسورة حزينة ليقول في نفسه "هذا هو الثمن أليس كذلك؟ لكنَّكِ أنتِ من تدفعيه وليس أنا " ليجد عدة تعليقات سيئة في الأسفل :

"تبدو مثل أبيات قرأتها قريبا ولكن لا أعرف أين "،"أسلوب الكاتبين متشابه هذه الأيام "،"يجب أن تختاروا مواضيع جديدة لتتحدثوا عنّها" وعدّة تعليقات أخرى تضاهيها بالإزعاج النفسي.
زفر مهدئا لحاله ثمّ ترك الهاتف من يده حتى يكمل كتابته.

***

"لا أعرف إذا كان هذا شئ غريب أم ماذا ولكن ...أنا أحلم بأحلام مزعجة دائما ، أحلام بها أناس أعرفهم وآخرين لا أعرفهم وأجد نفسي أقابل آخرين يشبهونهم ، وبها أحداث تحدث بواقعي ولكنّها خيالية بذات الوقت".. .

نظرت الطبيبة لعينيها بتركيز لتكمل هي "لا أعلم إذا كان شيئا خطيرا أو لا لكن... لقد اعتدت على ذلك ع الأقل نسبيا"!

"أحلام مثل ماذا يا عليا ... مالّذي يحدث بها ؟!"

"يوجد رابط مشترك بينهم كلهم في الغالب وهو أنّني أكون مطاردة من قبَل شخص أو شئ ما ... أحيانا أراه وأحيانا لا أراه ..."

"ما هي أكبر مخاوفك ياعليا؟"

تغيرت نبرة صوتها لتزدرد ريقها قائلة "أن أشعر بالذنب ...أوأن يقوم أحد بلومي "

"قومي بمسامحة نفسك ياعليا لأنّ لا أحد سيستطيع أن يلومك أويطاردك إلَّا لو كُنتِ قد أعطيته الفرصة أو توافقينه الرأي وتعتقدين أنّكِ تستحقين على الأقل ، لذا ... قومي بمسامحة نفسك كلُّنا نقوم بأخطاء"

"لكن ... غلطة بشعة مثل تلك ؟"

"من قال أنّها بشعة ... الحياة تستمر رغم مابها من أخطاء ، وأنا لا أعلم ماهية غلطتك أو قدرها ! وإذا استطعتِ أن تقصّي على مسامعي حكايتها قريبا رُبّما سأستطيع مساعدتك بها لحلّها"

"لا أعلم ... لا أستطيع ! حتى إن استطعت البوح بها فهو ليس اليوم "

"كما تريدين لكن هناك أشياء يجب أن نتحدّث بها حتّى تُفكّ عُقدتها! أنا أنتظرك في العموم!"
تذكرت عليا حوارها مع طبيبتها وهي تنظر لهاتفها متأملة لرقم والدتها وهي تتخيل كيف سيكون ردّها حينما تسمع صوتها بالهاتف وهل ستستمع لحديثها أم لا ؟

ترددت حنان –أمّها- في رفع السماعة لترد بهدوء"ألو..." لتبدأ عليا حديثها بلهفة "أمّي ... أمي أرجوكِ لا تُغلقي الخطّ!"

"ماذا تريدين ؟!"

"أريدك فقط أن تفهميني فقط يا أمي ... أنا ابنتك وأريدك أن تتمسّكي بي!"

"أنا أريد أن أعلم شيئا واحدا فقط! ألم يكن كافٍ بالنسبة لكِ ما قمت بفعله ؟! وأنت لازلتِ تتحدّثين عن حقوقك! أنا لم أربيكِ على أن تكوني أنانية هكذا! لمَ أنتِ هكذا يجب أن تخجلي من نفسك!"

"يا أمّي ألا تريدين أن تسامحي طفلة صغيرة على غلطتها طوال هذه المدة؟! ألم يحنّ قلبك علي؟!" سألت عليا بيأس ودمعة من عينها اليمنى تسيل على خدِّها بهدوء

"أستطيع أن أسامح الطفلة عندما لا تغلط مثل هذه الغلطات وهي كبيرة ! في ماذا أخطأنا أنا لا أعلم حقا!" لتغلق حنان والدتها السماعة وتكمل عليا بكائها بصمت.

***

"أشعر أحيانا أنّ الخلاء ملئ بالأصوات التي تنتقل عبر الحوائط والأنابيب . وأحيانا أحسّ أنّه مزدحم وأنّه يوجد فيه أناس كُثارٌبينما أنا به بمفردي . تعجّ به أصوات الصراخ والضحك الهستيري والبكاء ، أصوات لم أستمع إليها من قبل وأنا بسائر البيت أو بالشارع أو إذا كنت في وسط تجمّع أو احتفال حتّى. وأنا لا أعلم ممن ينبعث هذا الصوت، لتبدأ أذناي بتحسُّس الأنابيب أو تلاصق الحائط لتستمع إليها بوضوح أكثر. لكنّني لم أُميّزها أبدا رُبّما لأنّها لغة مختلفة أو لأنّها غير آدمية. "

***

"أنا شخص تائه خائف أود تقبلك لي بدلا من نقدك... وحنانك بدلا من عقلك لأني لا أملك سواك"

نشر علي هذه الأبيات بصفحته الخاصّة على الفيس بوك ليجد انفجار للتعليقات المهاجمة له على المنشور:"كفى هُراءَ ! هذه الأبيات قد قرأتها من قبل في مكان أخر أنا متأكد"..."أخيرا عرفنا أين توجد المشكلة؟ علي باشا ينسخ شعر الآخرين ليقوم بنشره دون استئذان حتى"..."لقد ظننت أنّه موهوب بشئ واحد على الأقل ... لول!"

نفخ علي محاولا أن يستوعب مالّذي يحدث ليجد مصطفى والجا للمنزل باكرا على غير عادته ، ليسألة الأوّل "انظر مالّذي يحدث ؟! ويعلو وجهه الغضب "ليظل صديقه صامتا ليرفع وجهه عن الهاتف ليجده يعلو وجهه الغضب "مالذي حدث يامصطفى ؟ لم أنت هكذا؟"

ليرد باقتضاب "لا شئ" ليسكت علي ولا يحاول الحديث معه أكثرر ليبوح له مصطفى عن مابصدره من غضب"اليوم قام العميل بالغاء مشروعنا معه ... ومن ثمّ قامت الشركة بتسريحنا مع حركة تجديد العمالة بالشركة التي كنت متوقع أن أترقّى لمنصب أعلى بها!"

"حسنا ، خذ بعض الراحة ! –ليتحدّث مع نفسه- ياتُرى هل قامت عليا بنشر هذا البيت أيضا؟"

"راحة ماذا ياعلي ؟! أنا يجب أن أجنى مال أكثر لأرسله لأمّي وأختي بالبلد, ماذا توقعت ؟ يجب أن أحاول أكثر أنا لا أهرب من الموقف مثلك ! أنا شخص لديه مسئوليات "

"مسئوليات أليس كذلك ؟ ع الأقل أنّك لست مكروة"

ليرفع مصطفى صوته صارخا حتى أصبح وجهه أحمر"أنت لست مكروه ، أنتَ أناني وضعيييف"

ليسود الصمت بينهما ويمسك علي بعروة قميص مصطفى مهددا إياه محاولا أن يتحدث ليضربه مصطفى مباشرة باللكمة في عينه.

ظلّل السكون على الخناقة لتظلّ على هذاالمنوال لمدّة دقيقة تقريبا ليبدأ كلاهما بالتخبيط في جسد الآخر ويخرج كل واحد منهما ما بجعبته من غضب حتّى أحسّا بالكلل والتعب الشديد ليجلسا سويا على الأريكة يتنفسان بصعوبة.

"أنا لم أقصد شئ مما قلته لك " قال علي بهدوء

"لكنّني كنت أقصد!" ردّ مصطفى عليه وهو ينظر في عينيه.

أثارت كلمات مصطفى شئ مكمون بصدر علي ليهزّ الأخير رأسه ناهضا "أنا أريد أن أتحدّث لأمّي!"

ليجد والدته بنفس الوقت تتصل به هاتفيا ليرد عليها متلهفا لتقاطع هي سلامه المبحوح "أين أنت ؟ الفتاة التي جلبتها قد هُرست تحت سيارة بالشارع!"

***

"أشعر أنني في عالم موازي ، دماغي خالٍ فضاء ولا تشغله الأفكار المشوشة التي أفكر بها دائما ، رأسي ثقيل ولا يمكنني أن أخفضة أو أن أحركه قليلا ... أشعر بشئ ما يعُضّ في عظمي ولحمي ويجعلني أتألم كثيرا ، البرودة تملئ أطرافي وجسدي بالكامل يهتز ، لا أستطيع أن أشعر بشئ محدد ... عيناي مشوشتان ... دماغي متوقف عن العمل فلا أستطيع استدعاء أي من ذكرياتي الآن. " دار في ذهن عليا هذا الشعور وهذا الحديث وقت مرورها بممر المشفى ودخولها لغرفة العمليات حيث كان بجانبها والدتها ووالدة علي، فتحت عليا عيناها لتجد طفل صغير بجانبها يبتسم لها لتتعرف هي عليه من الوهلة الأولى "عُمَر ... أخي ! لقد اشتقت إليك !"

في فترة الغيبوبة التي دامت لمدّة أسبوعان دارت بدماغ عليا ذِكرتها - التّي تمنّت أن تقوم بنسيانها للأبد- والتي قامت بقصّها على طبيبتها في أول مرة ذهبت بها لعيادتها :

"كنت ذات مرة ألعب مع أخي في الشارع وذهبت لأشرب ماء من الزجاجة التي أحضرتها من منزلنا قبل نزولنا للعب والتفتت ولم أجد أخي عمر موجود حولي. ظللت أنادي عليه كثيرا ولكنه لم يجيب ندائي لينتابني الخوف حيث أنني شعرت أنّه قد يكون في خطر حقيقي ولا يفعل هذا بغرض اللعب معي وإخافتي. بحثت عنه كثيرا ولم أجده لأصعد لمنزلنا وأخبر أمي بما حدث وظلّت تتصل على والدي المسافر طويلا لكنّه لم يرد لأنّه كان مشغول بعمله الميداني وبعيد عن الهاتف . لكن أمّي نظرت لي نظرة مُعذَّبة مؤنبة إيّاي أني نزلت للعب مع أخي من دون استئذانها. ورغم أنَّها كانت فكرة أخي إلّا أنّني لم أستطع نطق اسمه حينها من كثرة خوفي وأنا أنادي باسمه بساعة العصرية وقت اللعب.

رفعت عليا نظرها المغروش من الدموع من على الأرض لتنظر لعيني طبيبتها مكملة حديثها: "تقريبا منذ حينها أصبحت لا أرَ أُمّي كسابق عهدها. لا أعرف ..كأنَّها تغيرت ؟" وهي تبكي بحرقة ." أريد أن أصرخ وأقول لها لقد كنت صغيرة حينها فقط ، لكنني أجد نفسي مخطئة عند قول ذلك أيضا فلماذا سيصدقاني . كلّ ما أردته هو كلمة لا تغضبي , كيف نسوا أنَه كان أخي أيضا وافتقدت اللعب معه ومشاركة الطعام معه ؟ "

بدأت عليا تشعر بوجود شئ ما خارج نطاق تفكيرها ، سمعت بكاء منهار لأُناس تمنّت لو أن تبكي هي بحضنهم ، تمنّت لو كانوا بقربها لفترة مثلما فعلوا الآن، لو أنّهم أعطوها هذا القدر من الحُبّ وهي في أوقاتها الصعبة. لكنّ الحياة أصعب من أن تجد ما تريده من النّاس بها. لكنّ السؤال هنا : هل ياتُرى إذا كان حلّ بها مكروة -وهي مازالت على قيد الحياة- سيتخلون عن كبرهم ويعاملوها كما كانت تريد أم لا ؟!

***

بدأ علي يقوم بحلّ مسألته وهي أنّه قام بنشر جزء من محادثته ع الخاص بينه وبين عليا موضّحا ما آلت إليه الأمور . وأنّ تلك الفتاة الآن بين الحياة والموت ولازالت ترقد بالمشفى ، وأنّه يجب أن نقوم بالدعاء لها جميعا.

ثم وقف أمام والده وجه لوجه قائلا له "والدي ... أنت شخص لطالما كنت خير مساندا لي منذ كنتُ صغير ... وهناك العديد من الذكريات الرائعة التي تجمعنا لكن... كان هناك شئ أحتاجة منك لم تستطع أن تعطيني إيّاه كشخص وليس كأبّ ، أردتّك أن تفهمني فقط لكن ..."

أشاح والده نظره عنه وهو مومئا برأسه بالموافقة صامتا لتنتهي محادثتهما هنا.

ذهب علي لمكتب التوثيق وقام بإيقاف المراحل وسحب مستنداتيهما حتى لا يصدر العقد وجاء ليطمئن عليا وهي نائمة في سباتها العميق أنّ كل شئ تغير وأنّ الأمور لم تعد كالسابق وأنّ العالم الخارجي أصبح أفضل الآن وليس مؤلما كما تركته. ثمّ شرد في وجهها وهو يفكّر "أنا أعلم الآن أنّه كان خطئي أنا من الأساس" ثمّ ترك غرفتها وذهب.

خرجت الجنازة لتدفن عليا بمدافن السيدة عائشة بالقاهرة ضمن مدافن عائلة الجندي ووالدها وأعمامها وسيدات كُثارٍ بجانب أمّها وأناس لم ترهم من قبل ،ليظهر على سطحها عبارة أمرت الطبيبة أن تحفر برغبة من عليا "شخص مسالم ليس طيب ولا شرّير أراد أن يحصل على الحبّ من الناس الّذي أعطاهم إياه"

***

تمّت

الخاتمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : معكم دعاء.

أنا لم أقصد قط أي شخص بهذا العمل وهو من خالص أفكاري ولا يمت للواقع بِصِلة.

تمنيت أن تصبح نهايته أفضل لكنّي لم أجد نهاية أكثر واقعية من تلك المكتوبة بالرواية. وأنا لم أقصد أن أقوم بإحباط أي شخص. لكن .. أحيانا وصف الألم يمكنه أيضا المساعدة بمقدار الأمل.

وشكرا لكم .

الغلاف الخلفي

ذهبت عليا لبيت أهل علي مع الأخير ليعرفها عليهما ويريهما العقد ليظل الاثنان واجمين بصمتهما بعد وقوع الخبر على مسامعهما ، ليجمد وجه أمه قائلة "أهذا ماكنت مبتعدا لأجله ، أكلّ هذا بعد ماقمنا بوهبك الحياة وتنشئتك تنشئة جيدة . لمَ يابني قمت بذلك لِم..؟"

ليشير لها زوجها لأن تصمت ليقول"أفعلت ماتريده ، اذهب لا أنت ولدي ولا أعرفك"

قام علي بمحاولة تهدئتهما قائلا "حسنا ... لا أعرف كيف أقول هذا لكن عليا أصبحت الآن فردا من الأسرة موضعي قانونا ، وتستطيعان التصرف كما تشاءا لكن اسمها أصبح من اسميكما الآن" .

نبذة عن الكتاب

مع الاختلافات الكبيرة بين الجيلين يقرر الأطفال التخلي عن آبائهم ليعيشوا حياتهم بطريقتهم الخاصة، ولكنهم يكتشفون طريقة جديدة لفعل ذلك.

نبذة عن الكاتب:

- دعاء أحمد رشدي هي كاتبة مصرية ولدت عام 1999، تدرس الآثار المصرية القديمة بجامعة القاهرة .

- صدرت لها روايتها الأولى عن دار زين بعنوان "بين الحين والأمس" وهي تتناول القضايا الهامة في العصور الوسطى بما يحاكيها من مشكلات بعصرنا الحالي.